حمزة بن عبد المطلب

إعداد

صلاح عبد الحميد

مؤسسة دار الفرسان للنشر والتوزيع

٥١ ش إبراهيم خليل – المطرة

اسم الكتاب : فرسان الإسلام) حمزة بن عبد المطلب(المؤلـــف : صلاح محمد عبد الحميد

الناشـــر : مؤسسة دار الفرسان تصميم الغلاف:

٨٩٢١ :رقم الإيداع ٢٠١٥ :طبعة ثانية

فهرسة أثناء النشر

صلاح محمد عبد الحميد

فرسان الإسلام / صلاح محمد عبد الحميد – القاهرة .-

ط١ مؤسسة دار الفرسان للنشر والتوزيع

٨٠ ص ؛ ٢٤ سم

تدمك :- ٧-٢٨-٦١٦٩-٩٧٧

١ – الإسلام - تراجم

أ. العنوان ٩٢٢,١

أية قرآنية

بسم الله الرحمن الرحيم

(فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ

إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا)

صدق الله العظيم

طه 114

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

صحابة رسول الله هم من صحبوا رسول الله محمد بن عبد الله وآمنوا بدعوته. والصحبة في اللغة هي الملازمة والمرافقة والمعاشرة. رافق الصحابة رسول الله محمد بن عبد الله في أغلب فترات حياته بعد الدعوة، وساعدوه على إيصال رسالة الإسلام ودافعوا عنه في مرات عدة. وبعد وفاة رسول الله محمد بن عبد الله قام الصحابة بتولي الخلافة في الفترة التي عرفت بعهد الخلفاء الراشدين، وتفرق الصحابة في الأمصار لنشر تعاليم الإسلام والجهاد وفتح المدن والدول. وقاد الصحابة العديد من المعارك الإسلامية في بلاد الشام وفارس ومصر وخراسان والهند وبلاد ما وراء النهر.

عن أبو هريرة_رضي الله عنه_ عنه قال : قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– (لا تسبوا أصحابي لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه) " وسبب تفضيل نفقتهم أنها كانت في وقت الضرورة ، وضيق الحال بخلاف غيرهم ، ولأن إنفاقهم كان في نصرته –صلى الله عليه وسلم– ، وحمايته ،

وذلك معدوم بعده ، وكذا جهادهم وسائر طاعتهم ، وقد قال تعالى (لا يَسْتَوِي مِنْكُم مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً)(الحديد:10) وهذا كله مع ما كان فيهم في أنفسهم من الشفقة ، والتودد ، والخشوع ، والتواضع ، والإيثار ، والجهاد في الله حق جهاده ، وفضيلة الصحبة ولو لحظة لا يوازيها عمل ، ولا ينال درجتها بشيء ، والفضائل لا تؤخذ بقياس ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء"

وقال البيضاوي _رحمه الله تعالى_ : " معنى الحديث لا ينال أحدكم بإنفاق مثل أحد ذهبا من الفضل والأجر ما ينال أحدهم بإنفاق مد طعام أو نصيفه ، وسبب التفاوت ما يقارن الأفضل من مزيد الإخلاص ، وصدق النية) " مع ما كانوا من القلة ، وكثرة الحاجة والضرورة " وقيل " السبب فيه أن تلك النفقة أثمرت في فتح الإسلام ، وإعلاء كلمة الله ما لا يثمر غيرها ، وكذلك الجهاد بالنفوس لا يصل المتأخرون فيه إلى فضل المتقدمين لقلة عدد المتقدمين ، وقلة أنصارهم فكان جهادهم أفضل ، ولأن بذل النفس مع النصرة ، ورجاء الحياة ليس كبذلها مع عدمها . "

ومما جاء في فضلهم -رضي الله عنهم- حديث عبد الله بن مسعود_رضي الله عنه_ عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال :(خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) "وإنما صار أول هذه الأمة خير القرون؛ لأنهم آمنوا به حين كفر الناس ، وصدقوه حين كذبه الناس ، وعزروه ، ونصروه ، وآووه ، وواسوه بأموالهم وأنفسهم ، وقاتلوا غيرهم على كفرهم حتى أدخلوهم في الإسلام"

ومما جاء في فضلهم ما رواه أبو بردة _رضي الله عنه_ قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم - (النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد ، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون ، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون) " وهو إشارة إلى الفتن الحادثة بعد انقراض عصر الصحابة من طمس السنن وظهور البدع وفشو الفجور في أقطار الأرض"

وها هو أمير المؤمنين علي_ رضي الله عنه_ يصف حال الصحابة فعن أبي راكة قال : صليت خلف علي صلاة الفجر فلما سلم انفلت عن يمينه ثم مكث كأن عليه الكآبة حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قيد رمح قال : لقد رأيت أصحاب محمد –صلى الله عليه وسلم– فما أرى اليوم شيئا يشبههم كانوا يصبحون ضمرا شعثا غبرا بين أعينهم أمثال ركب المعزى قد باتوا لله سجدا وقياما يتلون كتاب الله ويراوحون بين جباههم وأقدامهم فإذا أصبحوا ذكروا الله مادوا كما تميد الشجر في يوم الريح فهملت أعينهم حتى تبتل ثيابهم.

فالصحابة هم الذ ين عرفوا من أحوال رسول الله محمد بن عبد الله ما جعلهم يهرعون إليه ويضعون مقاليدهم بين يديه ينغمسون في فيضه الذي بهر منهم الأبصار وأزال عنهم الأكدار، وصيرهم أهلاً لمجالسته ومحادثته ومرافقته ومخالطته، حتى آثروه على أنفسهم وأموالهم وأزواجهم وأولادهم، وبلغ من محبتهم له وإيثارهم الموت في سبيل دعوته للإسلام أن هان عليهم اقتحام المنية كراهة أن يجدوه في موقف مؤذ أوكربة يغض من قدره

وهناك عدة ثوابت عند أهل السنة عن الصحابة، منها:

- الصحابة كلهم عدول، لا يجوز تجريحهم ولا تعديل البعض منهم دون البعض.
- الصحابة لم يذكرهم الله في القرآن إلا وأثنى عليهم وأجزل الأجر والمثوبة لهم، ولم يفرق بين فرد منهم وفرد ولا بين طائفة وطائفة. وفيهم يقول النبي محمد) :خيرالقرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)

ولعل من القائد الحوارى الزبير بن العوام من حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم له صفاته الخاصة به وكذلك له حياته الخاصة التى سوف نعرض لها فى هذا الكتاب لإلقاء الضوء على شخصية الصحابى الجليل الزبير بن العوام فى هذه السطور .

المؤلف

من هو حمزة بن عبد المطلب ؟

حمزة بن عبد المطلب الهاشمي القرشي صحابي من صحابة رسول الإسلام محمد، وعمُّه وأخوه من الرضاعة وأحد وزرائه الأربعة عشر، وهو خير أعمامه لقوله» :خَيْرُ إِخْوَتِي عَلِيٌّ، وخَيْرُ أَعْمَامِي حَمْزَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .«وهو أسنُّ من الرسولِ محمد بسنتين، كما أنه قريبٌ له من جهة أمه، فأمه هي هالة بنت وهيب بن عبد مناف، ابنة عم آمنة بنت وهب بن عبد مناف أمِ الرسولِ محمد. لُقّب بسيد الشهداء، وأسد الله وأسد رسوله، ويكنى أبا عمارة، وقيل أبو يعلى. كان حمزة في الجاهلية فتى شجاعاً كريماً سمحاً، وكان أشدَّ فتى في قريش وأعزَّهم شكيمة، فقد شهد في الجاهلية حرب الفجار التي دارت بين قبيلتي كنانة وقيس عيلان.

أسلم حمزة في السنة الثانية من بعثة النبي محمد، فلمَّا أسلم علمت قريش أن الرسول محمداً قد عز وامتنع وأن حمزة سيمنعه، فكفّوا عن بعض ما كانوا ينالون منه.

ثم هاجر حمزة إلى المدينة المنورة، فآخى الرسول بينه وبين زيد بن حارثة .وكان أول لواء عقده الرسول محمدّ هو اللواء الذي عقده لحمزة، وشهد حمزة غزوة بدر، وقَتَل فيها شيبة بن ربيعة مبارزة، وقتل غيره كثيراً من المشركين، كما شهد غزوة أحد، فقُتل بها سنة 3هـ،

وكان قد قَتَل من المشركين قبل أن يقتل واحداً وثلاثين نفساً، وكان الذي قتله هو وحشي بن حرب الحبشي غلام جبير بن مطعم، ومثّل به المشركون، وبقرت هند بنت عتبة بطنه فأخرجت كبده، فجعلت تلوكها فلم تسغها فلفظتها، فقال الرسول محمدّ» :لو دخل بطنها لم تمسها النار«، وخرج الرسولُ يلتمس حمزة، فوجده ببطن الوادي قد مُثّل به، فلم ير منظراً كان أوجع لقلبه منه فقال» :رحمك الله، أي عم، فلقد كنت وصولاً للرحم فعولاً للخيرات .«ودفن حمزة وابن أخته عبد الله بن جحش في قبر واحد.

حياته فى الجاهلية وإسلامه

تربى حمزة بن عبد المطلب في كنف والده عبد المطلب بن هاشم الذي كان سيد قريش وبني هاشم ، ونشأ مع تربه وابن أخيه عبد الله وأخيه من الرضاعة محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، وعاشا ينهلان من الشمائل والقيم العربية الأصيلة، من بطولة وشجاعة وكرم ونجدة وغيرها، وارتبطت بينهما صداقة متينة ووثيقة العرا .

كان حمزة في الجاهلية فتى شجاعاً كريماً سمحاً، وكان أشدَّ فتى في قريش وأعزَّهم شكيمةً، فقد شهد حرب الفجار التي وقعت بعد عام الفيل بعشرين سنة، وقد دارت بين قبيلة كنانة التي منها قريش، وبين قبيلة قيس عيلان ، وكانت حرب الفجار أول تدريب عملي لحمزة بن عبد المطلب، حيث مارس التدريب على استعمال السلاح، وتحمل أعباء القتال ومشقات الحروب

.

وينبغي الذكر أن حمزة بن عبد المطلب هو الذي خطب لابن أخيه محمد خديجة بنت خويلد ، فقد روي أن خديجة بعثت إلى الرسول محمد فقالت له: «إني قد رغبت فيك لقرابتك مني، وشرفك في قومك، وأمانتك عندهم، وحسن خلقك، وصدق حديثك»،

ثم عرضت عليه نفسها، وكانت أوسط نساء قريش نسباً، وأعظمهم شرفاً، وأكثرهم مالاً.

فلما قالت للرسول محمد ما قالت ذكر ذلك لأعمامه، فخرج معه عمُّه حمزة بن عبد المطلب حتى دخل على خويلد بن أسد ، فخطبها إليه فتزوجها الرسول محمد، وقيل إن حمزة خطبها من عمها أسد بن أسد، وقيل إن الذي زوجها من النبي محمد هو عمها عمرو بن أسد، فولدت خديجة له :القاسم وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة وعبد الله .وكان عمر الرسول حين تزوج خديجة خمساً وعشرين سنة، وقيل إحدى وعشرون سنة، وكان عمرها حينئذ أربعين سنة، وأقامت معه أربعاً وعشرين سنة.

إسلامه

أسلم حمزة بن عبد المطلب في السنة الثانية من بعثة الرسول محمد، وكان سبب إسلامه أن أبا جهل عمراً بن هشام المخزومي القرشي اعترض الرسول محمداً عند جبل الصفا، فآذاه وشتمه ونال منه ما يكره من العيب لدينه والتضعيف له، فلم يكلمه الرسول محمد، ومولاة لعبد الله بن جدعان التيمي القرشي في مسكن لها فوق الصفا تسمع ذلك، ثم انصرف عنه، فعمد إلى ناد لقريش عند الكعبة فجلس معهم. ولم يلبث حمزة بن عبد المطلب أن أقبل متوشحاً قوسه، راجعاً من قنص له،

وكان إذا فعل ذلك لا يمر على ناد من قريش إلا وقف وسلم وتحدث معهم، وكان أعزَّ قريش وأشدَّها شكيمةً، وكان يومئذ مشركاً على دين قومه، فلما مر بالمولاة، وقد قام الرسول محمد فرجع إلى بيته، قالت له: «يا أبا عمارة، لو رأيت ما لقي ابن أخيك من أبي الحكم آنفاً، وجده ههنا فآذاه وشتمه وبلغ منه ما يكره، ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد»،

فاحتمل حمزةَ الغضب، فخرج سريعاً لا يقف على أحد كما كان يصنع يريد الطواف بالبيت، مـ عداً لأبي جهل أن يقع به، فلما دخل المسجد نظر إليه جالساً في القوم، فأقبل نحوه، حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها فشجَّه شجةً منكرة، ثم قال» :أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول؟ فردَّ ذلك علي إن استطعت«، وقامت رجال من قريش من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل منه، فقالوا: «ما تراك يا حمزة إلا قد صبأت»، فقال حمزة» :وما يمنعني منه وقد استبان لي منه ذلك، وأنا أشهد أنه رسول الله، وأن الذي يقول حق، فوالله لا أنزع، فامنعوني إن كنتم صادقين«، فقال أبو جهل: « دعوا أبا عمارة، فإني والله لقد سببت ابن أخيه سباً قبيحاً»، وتم حمزة على إسلامه وعلى ما بايع عليه الرسول محمداً من قوله، فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن الرسول محمداً قد عز وامتنع، وأن حمزة سيمنعه، فكفّوا عن بعض ما كانوا ينالون منه[14][13][12].

ثم رجع حمزة إلى بيته، فأتاه الشيطان فقال: «أنت سيد قريش، اتبعت هذا الصابىء وتركت دين آبائك، لَلموتَ كان خيراً لك مما صنعت» ، فأقبل على حمزة بثّه فقال» :ما صنعتَ اللهم إن كان رشداً فاجعل تصديقه في قلبي، وإلا فاجعل لي مما وقعتَ فيه مخرجاً«، فبات بليلة لم يبت بمثلها من وسوسة الشيطان وتزيينه حتى أصبح، فغدا على الرسول محمد فقال» :يا ابن أخي، إني قد وقعت في أمر لا أعرف المخرج منه، وإقامة مثلي على ما لا أدري ما هو، أرشد هو أم غي شديد؟ فحدثني حديثاً فقد اشتهيت يا ابن أخي أن تحدثني«، فأقبل الرسول محمدَ فذكّره ووعظه وخوفه وبشّره، فألقى الله تعالى في نفسه الإيمان بما قال الرسول محمدّ، فقال» :أشهد أنك الصادق، شهادة الصدق، فأظهر يا ابن أخي دينك، فوالله ما أُحبُّ أنَّ لي ما أظلته السماء وأني على ديني الأول.«

وروي عن حمزة بن عبد المطلب أنه قال :

لدينٍ جاء من ربِ عزيزٍ خبيرٍ بالعباد بهم لطيف

إذا تَليت رسائلُه علينا تحدَّر دمعُ ذي اللب الحصيفِ

رسائل جاء أحمدَ من هداها بآيات مبينات الحروف

وأحمدَ مصطفى فينا مطاعٌ فلا تغشوه بالقول العنيف

فلا والله نسلمه لقومٍ ولما نقضِ فيهم بالسيوف

ونترك منهم قتلى بقاعٍ عليها الطيرُ كالوردِ العكوفِ

وقد خُبِّرت ما صنعت ثقيفَ به فجزى القبائلَ من ثقيفِ

إله الناس شرَّ جزاء قوم ولا أسقاهمَ صوبَ الخريفِ

وبعد إسلام حمزة قويت شوكة المسلمين، وأخذ حمزة يعلن دينه في كل مكان، ويتحدى أبطال قريش، ومنهم عمر بن الخطاب، حيث إن عمر بن الخطاب لما أراد أن يسلم قال لخباب بن الأرت» :فدلني يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم«

، فقال له خباب» :هو في بيت عند الصفا، معه فيه نفر من أصحابه«، فأخذ عمر سيفه

فتوشحه، ثم عمد إلى الرسول محمد وأصحابه، فضرب عليهم الباب، فلما سمعوا صوته قام رجل

من أصحاب الرسولِ، فنظر من خلل الباب فرآه متوشحاً السيف، فرجع إلى الرسولِ محمد وهو

فَزِع، فقال» :يا رسول الله، هذا عمر بن الخطاب متوشحاً السيف«، فقال حمزة بن عبد المطلب :

»فأذن له، فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه له، وإن كان جاء يريد شراً قتلناه بسيفه«، فقال الرسول

محمدّ» :ائذن له« ، فأذن له الرجل، ونهض إليه الرسول محمدّ حتى لقيه في الحجرة، فأخذ حجزته

(موضع شد الإزار) أو بمجمع ردائه، ثم جبذه به جبذة شديدة، وقال» :ما جاء بك يا ابن الخطاب؟

فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة«، فقال عمر» :يا رسول الله، جئتك لأومن بالله

وبرسوله، وبما جاء من عند الله«، فكبَّر الرسول محمدّ تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب

الرسول أن عمر قد أسلم، فتفرق أصحاب الرسول من مكانهم،

وقد عزوا في أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة، وعرفوا أنهما سيمنعان الرسول محمداً، وينتصفون بهما من عدوهم .وهذه القصة تدل على شجاعة حمزة، فقد كان عمر مشهوراً بالشدة والبطش، وبعد إسلام عمر خرج المسلمون إلى شوارع مكة جهرةً، وكانوا بصفَّين: أحدهما يتقدمه عمر، والثاني حمزة، فبإسلامهما عز الإسلام والمسلمون .

ولما أسلم حمزة بن عبد المطلب، قالت قريش بعضها لبعض: «إن حمزة وعمر قد أسلما، وقد فشا أمر محمد في قبائل قريش كلها، فانطلقوا بنا إلى أبي طالب، فليأخذ لنا على ابن أخيه وليعطه منا، والله ما نأمن أن يبتزونا أمرنا«،ويدل ذلك على خوف المشركين من إسلام حمزة وعمر، وقلقهم أن ينتشر الإسلام بين قبائل قريش كلها بإسلامهم.

هجرته وجهاد

لما ازداد أذى قريش على المسلمين، ولم يسلم من أذاهم الأقوياء ولا الضعفاء، أذن لهم الرسول محمدً بالهجرة إلى المدينة المنورة، فهاجروا إليها أرسالاً ووحداناً، وهاجر حمزة مع من هاجر من المسلمين إليها قبيل هجرة الرسول محمد بوقت قصير ، ونزل حمزة بن عبد المطلب، وزيد بن حارثة الكلبي، وأبو مرثد كناز بن حصن الغنوي) ويقال ابن حصين)، وابنه مرثد، وهما حليفا حمزة بن عبد المطلب، وأنسة وأبو كبشة، وهما موليا الرسول محمد، نزلوا على كلثوم بن هدم أخي بني عمرو بن عوف من الخزرج بقباء، ويقال: بل نزلوا على سعد بن خيثمة، ويقال: بل نزل حمزة بن عبد المطلب على أسعد بن زرارة النجاري الخزرجي، كل ذلك يقال .

وبعد هجرة الرسول محمد إلى المدينة المنورة، آخى بين أصحابه من المهاجرين والأنصار، وقال» :تآخوا في الله أخوين أخوين«، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب، فقال» :هذا أخي«،

فكان الرسول محمدً وعلي بن أبي طالب أخوين، وكان حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة الكلبي مولى الرسولِ محمدٍ أخوين، وإليه أوصى حمزةُ يوم أحد حين حضره القتال إن حدث به حادث الموت .

جهاده

كان أول لواء عقده الرسول محمد لحمزة بن عبد المطلب، إذ بعثه في سرية إلى سيف البحر من أرض جهينة، وقيل إن أول لواء عقده لعبيدة بن الحارث بن المطلب، قال ابن إسحاق : »فكانت رايةُ عبيدة بن الحارث –فيما بلغني– أول راية عقدها رسول الله ﷺ في الإسلام لأحد من المسلمين.«

بعث الرسول محمد حمزة بن عبد المطلب إلى سيف البحر من ناحية العيص، في ثلاثين راكباً من المهاجرين، ليس فيهم من الأنصار أحد، فلقي أبا جهل بن هشام بذلك الساحل في ثلاثمئة راكب من أهل مكة، فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني، وكان موادعاً للفريقين جميعاً، فانصرف بعض القوم عن بعض، ولم يكن بينهم قتال،وكان الذي يحمل لواء حمزة أبا مرثد الغنوي.

وقال بعض الرواة: «كانت رايةُ حمزة أول راية عقدها رسول الله ﷺ لأحد من المسلمين«، وذلك أنَّ بعثَه وبعثَ عبيدة كانا معاً، فشُبِّه ذلك على الناس، وقد زعموا أن حمزة قد قال في ذلك شعراً يذكر فيه أن رايتَه أول راية عقدها الرسول محمد، وقال ابن هشام» :وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذا الشعر لحمزة رضي الله عنه.«

جهاده في غزوة بدر

شهد حمزة بن عبد المطلب بدراً، وأبلى فيها بلاء عظيماً مشهوراً، وكان حمزة بن عبد المطلب هو الذي ابتدأ قتال المشركين في غزوة بدر، فقد خرج رجل من جيش قريش هو الأسود بن عبد الأسد المخزومي القرشي فقال: «أعاهد الله لأشربن من حوضهم، أو لأهدمنه، أو لأموتن دونه»، فلما خرج، خرج إليه حمزة بن عبد المطلب، فلما التقيا ضربه حمزة فأطن قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض، فوقع على ظهره تشخب رجله دماً نحو أصحابه، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه، يريد أن يبر يمينه، وأتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض .

ثم خرج بعده عتبة بن ربيعة، بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة، حتى إذا فصل من الصف دعا إلى المبارزة، فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة، وهم :عوف ومعوذ ابنا الحارث- وأمهما عفراء– ورجل آخر يقال هو عبد الله بن رواحة، فقالوا: «من أنتم؟»، فقالوا: «رهط من الأنصار»، قالوا: «ما لنا بكم من حاجة»، ثم نادى مناديهم: «يا محمد، أخرج إلينا أكفاءنا عن قومنا»، فقال الرسول محمدٌ» :قم يا عبيدة بن الحارث،

وقم يا حمزة، وقم يا علي«، فلما قاموا ودنوا منهم، قالوا: «من أنتم؟»، قال عبيدة : »عبيدة»، وقال حمزة: «حمزة»، وقال علي» :علي»، قالوا: «نعم، أكفاء كرام». فبارز عبيدة، وكان أسن القوم، عتبةَ بن ربيعة، وبارز حمزة شيبة بن ربيعة، وبارز علي الوليد بن عتبة، فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله، وأما علي فلم يمهل الوليد أن قتله، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين، كلاهما أثبت صاحبه (أي جرحه جراحةً لم يقم معها)، وكرَّ حمزة وعلي بأسيافهما على عتبة فذففا عليه (أي أسرعا قتله)، واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابه .

وكان حمزة يُعلِم في الحرب بريشة نعامة، وقاتل يوم بدر بين يدي الرسول محمد بسيفين، وقد روي عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال: قال لي أمية بن خلف، وأنا بينه وبين ابنه آخذ بأيديهما (أي وهما أسيران عنده): «يا عبد الإله، من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة في صدره؟»، قلت: «ذاك حمزة بن عبد المطلب»، قال: «ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل.«

وأما الذين روي أن حمزة بن عبد المطلب هو من قتلهم في غزوة بدر فهم:

شيبة بن ربيعة العبشمي القرشي، قتله حمزة مبارزة .

عتبة بن ربيعة العبشمي القرشي، اشترك فيه عبيدة بن الحارث بن المطلب وحمزة وعلي .

حنظلة بن أبي سفيان بن حرب الأموي القرشي، ويقال اشترك فيه حمزة وعلي وزيد .

طعيمة بن عدي النوفلي القرشي، قتله علي بن أبي طالب، ويقال حمزة بن عبد المطلب .

زمعة بن الأسود بن المطلب الأسدي القرشي، اشترك فيه حمزة وعلي بن أبي طالب وثابت بن الجذع .

عقيل بن الأسود بن المطلب الأسدي القرشي، قتله حمزة وعلي، اشتركا فيه.

أبو قيس بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي .

الأسود بن عبد الأسد بن هلال المخزومي القرشي .

نبيه بن الحجاج بن عامر السهمي القرشي، قتله حمزة بن عبد المطلب وسعد بن أبي وقاص، اشتركا فيه.

عائذ بن السائب بن عويمر المخزومي القرشي، أُسر ثم افتَدي فمات في الطريق من جراحة جرحه إياها حمزة بن عبد المطلب .

وكان مما قيل من الشعر في يوم بدر، وترادَّ به المسلمون بينهم لما كان فيه، قول حمزة بن عبد المطلب

ألم تر أمراً كان من عجب الدهرِ   وللحين أسبابَ مبينة الأمرِ

وما ذاك إلا أن قوماً أفادهم   فحانوا تواصٍ بالعقوق وبالكفرِ

عشية راحوا نحو بدرٍ بجمعهم   فكانوا رهوناً للركية من بدرِ

وكنا طلبنا العير لم نبغِ غيرها   فساروا إلينا فالتقينا على قدرِ

فلما التقينا لم تكن مثنويةٌ   لنا غير طعن بالمثقفة السمرِ

وضربٍ ببِيضٍ يختلي الهام حدَّها   مشهرةِ الألوان بيِّنةِ الأثرِ

ونحن تركنا عتبة الغي ثاوياً   وشيبة في القتلى تجرجم في الجفرِ

وعمرو ثوى فيمن ثوى من حماتهم　فشقت جيوب النائحات على عمرو

جيوب نساء من لؤي بن غالب　كرام تفرعن الذوائب من فهرِ

أولئك قوم قُتِّلوا في ضلالهم　وخلُّوا لواءَ غير محتضر النصرِ

لواء ضلال قاد إبليس أهلَه　فخاس بهم، إن الخبيث إلى غدرِ

وقال لهم، إذ عاينَ الأمر واضحاً　برئتُ إليكم ما بي اليوم من صبرِ

فإني أرى ما لا ترون وإنني　أخاف عقاب الله والله ذو قسرِ

فقدَّمهم للحين حتى تورَّطوا　وكان بما لم يخبرِ القوم ذا خبرِ

فكانوا غداة البئر ألفاً وجمعنا　ثلاث مئين كالمسدمة الزهرِ

وفينا جنود الله حين يمدنا　بهم في مقامٍ ثم مستوضح الذكرِ

فشدَّ بهم جبريل تحت لوائنا　لدى مأزق فيه مناياهم تجري

معركة أحد

لم تزل مكة تغلي نار الحقد في أرجائها، ويتعالى لهب العداوة في جنباتها بعد الهزيمة المخزية التي لحقتهم من المسلمين في معركة بدر. فبقيت قريش تعالج الهموم والآلام على فقد أشرافها وصناديدها، ومن ذلك الحين وهي تعد العدة لأخذ الثأر، واسترداد الكرامة، والنيل من أعدائهم كما نالوا منهم، وكان عكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية وأبو سفيان بن حرب وعبد الله بن أبي ربيعة من أكثر زعماء قريش نشاطاً وتحمساً لخوض المعركة. حتى إن قريشاً كانوا قد منعوا البكاء على قتلاهم، ومنعوا الاستعجال في فداء الأسرى حتى لا يتفطن المسلمون إلى مدى مأساتهم وحزنهم، واتفقت قريش على القيام بحرب شاملة ضد المسلمين، وأول ما فعلوه بهذا الصدد أنهم احتجزوا عير أبا سفيان وقالوا لأربابها: يا معشر قريش، إن محمداً قد وتركم، وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا أن ندرك منه ثأراً، فأجابوا لذلك فباعوها وكانت ألف بعير وخمسين ألف دينار، لكن الأمر كما قال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ} [(36) سورة الأنفال].

ولما استدارت السنة كانت مكة قد استكملت عدتها، واجتمع لها ثلاثة آلاف مقاتل من قريش والحلفاء والأحابيش، وكان في الجيش ثلاثة آلاف بعير ومائتا فرس وسبعمائة درع، وقائدهم أبا سفيان، وقائد الفرسان خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل.

ولما ترك جيش المشركين بعث العباس – رضي الله عنه – رسالة إلى رسول الله ضمنها جميع تفاصيل الجيش، قرأ الرسالة على النبي – صلى الله عليه وسلم – أبي بن كعب، فأمره بالكتمان، وعاد مسرعاً إلى المدينة، وتبادل الرأي مع قادة المهاجرين والأنصار. وظلت المدينة في حالة استنفار لمدة عام لا يفارق رجالها السلاح حتى وهم في الصلاة، استعداداً للطوارئ.

وقام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وسعد بن عبادة بحراسة الرسول – صلى الله عليه وسلم –، فكانوا يبيتون على بابه وعليهم السلاح. وقامت على مداخل المدينة وأنقابها، مجموعات تحرسها خوفاً من أن يؤخذوا على غرة. وقامت دوريات من المسلمين لاكتشاف تحركات العدو تتجول حول الطرق التي يحتمل أن يسلكها المشركون للإغارة على المسلمين.

ووصل جيش مكة إلى أحد وهو الجبل الذي حول المدينة الذي قال فيه: ((أحد جبل يحبنا ونحبه)). سمي أحد؛ لأنه جبل شاهق مستقل لا يتصل به أي جبل من الجبال المحيطة به، ولذلك سمي بهذا الاسم لتوحده وتفرده بين الجبال.

فنزلوا قريباً من جبل أحد في مكان يقال له عينين، يوم الجمعة السادس من شهر شوال سنة ثلاث من الهجرة، واستشار النبي أصحابه وأخبرهم عن رؤيا رآها قال: ((إني قد رأيت والله خيراً، رأيت بقراً تذبح، ورأيت في ذباب سيفي ثلماً، ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة)) وتأول البقر بنفر من أصحابه يقتلون، وتأول الثلمة في سيفه برجل يصاب من أهل بيته، وتأول الدرع بالمدينة، ورأى ألا يخرجوا من المدينة بل يتحصنوا بها، فإن أقام المشركون أقاموا بشر مقام وبغير جدوى، وإن دخلوا المدينة قاتلهم المسلمون على أفواه الأزقة، والنساء من فوق البيوت وكان هذا هو الرأي، وأشار جماعة من الصحابة ممن فاته الخروج يوم بدر بالخروج إليهم، وألحوا على رسول الله، وكان في مقدمتهم حمزة بن عبد المطلب،

فاستقر الرأي على الخروج إليهم، ودخل رسول الله بيته مع صاحبيه أبي بكر وعمر فألبساه وعمماه، فتدجج بسلاحه وظاهر بين درعين وتقلد السيف، وندم الناس كأنهم استكرهوا رسول الله فقالوا: يا رسول الله، ما كان لنا أن نخالفك فاصنع ما شئت، إن أحببت أن تمكث بالمدينة فافعل، فقال – عليه الصلاة والسلام –: ((ما ينبغي لنبي إذا لبس لامته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه)) فسار الجيش وكان قوامه ألف مقاتل في مائة درع، واستعرض – عليه السلام – جيشه وردَّ من كان صغيراً منهم، كعبد الله بن عمر وأسامة بن زيد والبراء بن عازب وغيرهم، وممن ردَّهم أيضاً سعد بن حبتة، عرف بأمه – رضي الله عنه – وهي حبتة بنت مالك الأنصارية؛ ردَّه لصغر سنه، فلما كان يوم الخندق رآه يقاتل قتالاً شديداً، فدعاه ومسح على رأسه ودعا له بالبركة في ولده ونسله، فكان عماً لأربعين، وخالاً لأربعين، وأباً لعشرين، ومن ولده أبو يوسف صاحب أبي حنيفة.

وأجاز رافع بن خديج؛ لأنه كان ماهراً في رماية النبل، وسمرة بن جندب حيث قال: "أنا أقوى من رافع" فأمرهما أن يتصارعا أمامه، فصرع سمرة رافعاً فأجازه أيضاً.

وعقد – عليه الصلاة والسلام – ثلاثة ألوية، لواء للأوس ودفعه لأسيد بن حضير، ولواء للخزرج ودفعه للحباب بن المنذر وقيل لسعد بن عبادة، ولواء للمهاجرين ودفعه لعلي بن أبي طالب.

وصل المسلمون إلى مكان يقال له الـ شيخان، وسميت المنطقة بالشيخين: لأُطُمين كانا هناك في كل أطم عجوز، وكانا هذان العجوزان يتناجيان، فسميت المنطقة باسم الأطمين، وكل أطم باسم الشيخين ويقصدون هذين العجوزين.

فباتوا ليلتهم، وقبل طلوع الفجر بقليل اقترب الجيش الإسلامي من عدوه حتى أضحوا يرونه ويراه م، عندها تمرد عبد الله بن أبي المنافق، فانسحب بنحو ثلث العسكر، ثلاثمائة مقاتل قائلاً: "ما ندري علام نقتل أنفسنا"، وكاد أن يحدث الاضطراب في الجيش الإسلامي بعد انسحاب المنافق ومن معه، فليس يسيراً على النفوس الضعيفة أن يخسر الجيش ثلثه، وهم قاب قوسين أو أدنى من قتال العدو، وتبعهم عبد الله بن حرام والد جابر بن عبد الله وهو يقول: تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا، قالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون لم نرجع.

فقال عبد الله: أبعدكم الله أعداء الله فسيغني الله عنكم نبيه، ولله الحكمة البالغة فإن انسحاب عبد الله بن أبي بثلث الجيش، صفى الجيش النبوي من الطابور الخامس {وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُواْ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَوِ ادْفَعُواْ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ} [(167) سورة آل عمران]، وسار النبي بمن بقي معه من الجيش حتى نزل الشعب من جبل أحد، فعسكر بجيشه مستقبلاً المدينة جاعلاً ظهره إلى هضاب جبل أحد، وهناك عبأ جيشه وهيأهم صفوفاً للقتال، واختار فصيلة من الرماة الماهرين قوامهما خمسون مقاتلاً وجعل قائدهم عبد الله بن جبير بن النعمان، وأمرهم بالتمركز على جبل يقع على الضفة الجنوبية من وادي قناة، وهو ما يعرف اليوم بجبل الرماة. وقال لهم كما روى البخاري: ((إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمنا القوم ووطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم)).

أما بقية الجيش فجعل على الميمنة المنذر بن عمرو، وجعل على الميسرة الزبير بن العوام، يسانده المقداد بن الأسود، وكان إلى الزبير مهمة الصمود في وجه فرسان خالد بن الوليد، وجعل في مقدمة الصفوف نخبة ممتازة من شجعان المسلمين ورجالاتهم المشهورين بالنجدة والبسالة، والذين يوزنون بالآلاف.

وحض النبي جيشه على القتل فجرد سيفاً باتراً ونادى بأصحابه: ((من يأخذ هذا السيف بحقه)) فقام إليه رجال فأمسكه عنهم، منهم علي – رضي الله عنه – قام ليأخذه فقال له: اجلس، وعمر بن الخطاب فأعرض عنه، والزبير بن العوام طلبه ثلاث مرات والرسول – صلى الله عليه وسلم – يعرض عنه، فقام أبو دجانه فقال وما حقه يا رسول الله، قال: ((أن تضرب به وجوه العدو حتى ينحني)) قال: أنا آخذه بحقه يا رسول الله، فأعطاه إياه.

وكان أبو دجانة رجلاً شجاعاً يعتصب بعصابة حمراء، إذا اعتصب بها علم الناس أنه سيقاتل حتى الموت، فلما أخذ السيف عصب رأسه بتلك العصابة وجعل يتبختر بين الصفين، وحينئذ قال رسول الله: ((إنها لمشية يبغضها الله إلا في هذا الموطن)).

ولما تقارب الجمعان، كان أول وقود المعركة حامل لواء المشركين طلحة بن أبي طلحة، وكان من أشجع فرسان قريش، خرج وهو راكب على جمل يدعو إلى المبارزة، فأحجم الناس لفرط شجاعته، ولكن تقدم إليه الزبير، ولم يمهله بل وثب إليه وثبة الليث، حتى صار معه على جمله، ثم اقتحم به الأرض، فألقاه عنه وذبحه بسيفه، فكبر النبي – صلى الله عليه وسلم – وكبر المسلمون، وقال: ((إن لكل نبي حوارياً، وحواريي الزبير)).

ثم اندلعت نيران المعركة واشتد القتال، وتعاقب على حمل لواء المشركين عشرة من بني عبد الدار، كلما قُتل أحدهم حمل الراية آخر، إلى أن سقطت الراية على الأرض، لم يبق أحد يحملها، وانطلق المسلمون في كل نقاط المعركة كالأسود، وعصب أبو دجانة عصابته الحمراء، فجعل لا يلقى أحداً إلا قتله، وكان في المشركين رجل شديد لا يدع جريحاً للمسلمين إلا قتله، فدنا منه أبو دجانة فاختلفا ضربتين، فضرب المشرك أبا دجانة فاتقاه بدرعه، فضربه أبو دجانة فقتله.

وقاتل حمزة بن عبد المطلب قتال الليوث، فقد اندفع إلى قلب جيش المشركين يغامر مغامرة منقطعة النظير، ينكشف عنه الأبطال كما تتطاير الأوراق أمام الرياح الهوجاء، فبالإضافة إلى مشاركته الفعالة في إبادة حاملي لواء المشركين فعل الأفاعيل بأبطالهم الآخرين، حتى صرع وهو في مقدمة المبرزين، ولكن لا كما تصرع الأبطال وجهاً لوجه في ميدان القتال، وإنما كما يغتال الكرام في حلك الظلام.

يقول قاتل حمزة وحْشِي بن حرب : كنت غلاماً لجبير بن مُطْعِم، وكان عمه طُعَيمَة بن عدي قد أصيب يوم بدر، فلما سارت قريش إلى أحد قال لي جبير: إنك إن قتلت حمزة عم محمد بعمي فأنت عتيق. قال: فخرجت مع الناس وكنت رجلاً حبشياً، أقذف بالحربة قلّما أخطئ بها شيئاً، فلما التقي الناس خرجت أنظر حمزة وأتبصره، حتى رأيته في عرض الناس مثل الجمل الأَورَق، يهدُّ الناس هدّاً ما يقوم له شيء. فوالله إني لأتهيأ له أريده،

فأستتر منه بشجرة أو حجر ليدنو مني، قال: وهززت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها إليه فوقعت في أحشائه حتى خرجت من بين رجليه، وذهب لينوء نحوي فغُلِبَ وتركته وإياها حتى مات، ثم أتيته فأخذت حربتي، ثم رجعت إلى العسكر فقعدت فيه، ولم يكن لي بغيره حاجة، وإنما قتلته لأعتق، فلما قدمت مكة عتقت.

وهكذا دارت رحى الحرب، وظل الجيش الإسلامي مسيطراً على الموقف كله، وفر معسكر المشركين، قال البراء بن عازب كما عند البخاري: "فلما لقيناهم هربوا، وتبع المسلمون المشركين يضعون فيهم السلاح، ويأخذون الغنائم، وبينما كان الحال كذلك، كان الرماة فوق الجبل يرقبون الموقف، ويرون نصر الله يتنزل، فقال بعضهم لبعض: الغنيمة الغنيمةَ، ظهر أصحابكم فما تنتظرون، فقال لهم قائدهم عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله؟ فقالوا: والله لنأتين الناس فلنصيبنّ من الغنيمة، فنزل أربعون منهم والتحقوا بسواد الجيش،

ولم يبق على جبل الرماة إلا عبد الله بن جبير وتسعة معه، عندها انتهز خالد بن الوليد هذه الفرصة، فاستدار بسرعة خاطفة حتى وصل إلى مؤخرة الجيش الإسلامي، فلم يلبث أن أباد عبد الله بن جبير وأصحابه، ث م انقض على المسلمين من خلفهم وصاح فرسانه فعاد المنهزمون من جيش المسلمين، ورفعت امرأة يقال لها عمرة بنت علقمة الحارثية لواء المشركين فالتفوا حوله، وأحيط المسلمون من الأمام والخلف.

وكان النبي في تسعة نفر من أصحابه يرقب المسلمين ومطاردتهم المشركين، إذ بوغت من الخلف بفرسان خالد بن الوليد، فكان أمامه طريقان إما أن ينجو بنفسه ومن معه بسرعة وإما أن يخاطر بنفسه فيدعو أصحابه ليجمعهم حوله، فنادى بأعلى صوته: ((إلي عباد الله)) كما قال تعالى: {إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ عَلَى أحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ} [(153) سورة آل عمران].

فخلص إليه المشركون قبل أن يصل إليه المسلمون، وتزعزع الناس في معسكر المسلمين فلاذ بعضهم بالفرار إلى المدينة، وصعد بعضهم جبل أحد ثم صاح صائح: إن محمداً قد قتل، فانهارت روح المؤمنين، أو كادت تنهار، فتوقف من توقف عن القتال،

وألقى بعضهم السلاح، فمر بهؤلاء أنس بن النضر فقال: ما تنتظرون، فقالوا: قتل رسول الله، قال: ما تصنعون بالحياة بعده، قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله، ثم قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء -يعني المسلمين-، وأبرأ إليك من صنع هؤلاء يعني المشركين، ثم تقدم فلقيه سعد بن معاذ فقال: إلى أين يا أبا عمر، فقال أنس: واهاً لريح الجنة يا سعد، إني لأجده دون أحد، ثم مضى فقاتل حتى قتل، فما عرفه أحدٌ إلا أخته من بنانه، وبه بضع وثمانون، ما بين طعنة برمح وضربة بسيف ورمية بسهم.

ومر رجل من المهاجرين برجل من الأنصار وهو يتشحط في دمه، فقال: يا فلان أشعرت أن محمداً قد قتل، فقال الأنصاري: إن كان محمد قد قتل فقد بلّغ، فقاتلوا عن دينكم. وبمثل هذه المواقف عادت الروح إلى قلوب المؤمنين، وطوق المشركون رسول الله ومن معه وكانوا تسعة فقتل سبعة منهم بعد قتال عنيف. ولم يبق معه غير سعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله، فطمعوا في القضاء على رسول الله فرماه عتبة بن أبي وقاص بالحجارة فوقع لشقه، وأصيبت رباعيته اليمنى السفلى، وجرحت شفته السفلى، وتقدم إليه عبد الله الزهري فشجه في جبهته.

وجاء عبد الله بن قمئة فضربه على عاتقه بالسيف ضربة عنيفة شكا لأجلها أكثر من شهر، وضربه ضربة أخرى شديدة حتى دخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته، فقال – عليه السلام – والدم يسيل عن وجهه: ((كيف يفلح قوم شجوا وجه نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى الله، اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)). وقال ابن قمئة وهو يضرب النبي – صلى الله عليه وسلم –: خذها وأنا ابن قمئة، فقال له النبي – صلى الله عليه وسلم – ((أقمأك الله)) فلما كان بعد المعركة على سفح جبل نطحه تيس فتدهده من الجبل فمات فارس من فرسان المشركين يقتله ذلك التيس المبارك؛ بسبب دعاء النبي – صلى الله عليه وسلم –.

واستبسل سعد وطلحة في الدفاع عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقد نثل رسول الله كنانته لسعد بن أبي وقاص وقال: ارم فداك أبي وأمي. وأما طلحة فقد قاتل حتى شلّت يده، فقد تلقى بيده سهماً رمى به نحو رسول الله أحد أمهر رماة المشركين،

فتلقى طلحة السهم بيده فشلت أصابعه بعد، وظل يقاتل دون رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى سقط مغمياً عليه من كثرة الجراح، والنبي – صلى الله عليه وسلم – يقول: أوجب طلحة، أي وجبت له الجنة – رضي الله عنه – وأرضاه.

وكان أبو بكر – رضي الله عنه – إذا ذكر يوم أحد قال: ذلك اليوم كله لطلحة. وروى الترمذي أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال فيه يومئذ: ((من ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله)).

وخلال هذا الموقف العصيب تسارع المسلمون إلى رسول الله وأقاموا حوله سياجاً من أجسادهم وسلاحهم وبالغوا في الدفاع عنه، قام أبو طلحة على رسول الله يسور نفسه بين يدي رسول الله ويرفع صدره ليقيه عن سهام العدو، وكان رامياً يرمي، فكلما رمى أشرف رسول الله ليرى موضع سهمه، فيقول له أبو طلحة: بأبي أنت وأمي لا تشرف يصبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك. وقام أبو دجانة أمام رسول الله – صلى الله عليه وسلم –

فترس عليه ظهره والنبل يقع عليه، وهو لا يتحرك. ومص مالك بن سنان الدم عن وجنته وأنقاه فقال: مجه، فقال: والله لا أمجه أبداً، ثم أدبر يقاتل فقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: ((من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا)) فقتل شهيداً – رضي الله عنه –.

قال – عليه الصلاة والسلام – حين غشيه القوم: من رجل يشري لنا نفسه؟ فقام زياد بن السَّكن في نفر من الأنصار فقاتلوا دون رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رجلاً ثم رجلاً يقتلون دونه، حتى كان آخرهم زياد – رضي الله عنه –، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: أدنوه مني فأدنوه منه فوسده قدمه فمات وخده على قدم النبي – صلى الله عليه وسلم –.

ومصعب بن عمير حامل اللواء يوم أحد ضربوه بيده اليمنى حتى قطعت فأخذ اللواء بيده اليسرى فقطعت، ثم برك على صدره وعنقه حتى قتل، فأخذ الراية بعده علي بن أبي طالب.

وقام النبي – صلى الله عليه وسلم – فعرفه كعب بن مالك فنادى بأعلى صوته: يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله، فأشار إليه أن اصمت لئلا يعرف المشركون موضعه، فلاذ إليه المسلمون فأخذ بالانسحاب المنظّم إلى شعب الجبل.

وثبت مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في هذه المرحلة خمسة عشر رجلاً ثمانية من المهاجرين وهم: أبو بكر وعمر وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وأبو عبيدة بن الجراح وسبعة من الأنصار وهم: الحباب بن المنذر وأبو دجانة وعاصم بن ثابت والحارث بن الصمة وسهل بن حنيف وسعد بن معاذ وقيل سعد بن عبادة ومحمد بن مسلمة.

وفي أثناء الانسحاب عرضت لرسول الله صخرة من الجبل فنهض إليها ليعلوها فلم يستطع، فجلس تحته طلحة بن عبيد الله فنهض حتى استوى عليها فقال: ((أوجب طلحة)) أي وجبت له الجنة، ولما أَسند رسول الله في الشعب أدركه أبيٌّ بن خلف وهو مقنّع في الحديد يركض على فرسه ويقول: أين محمد لا نجوت إن نجا؟ فاعترض له رجال من المؤمنين فقال رسول الله للقوم: دعوه، فلما دنا تناول رسول الله حربة من الزبير بن العوام فلما أخذها هزها،

فانتهض الصحابة من حوله وتطايروا تطاير الشعراء عن ظهر البعير إذا انتفض بها، ثم استقبله فطعنه في عنقه طعنة تدحرج منها عن فرسه وجعل يخور كما يخور الثور. وصلى النبي – صلى الله عليه وسلم – الظهر قاعداً من أثر الجراح وصلى المسلمون خلفه قعوداً.

ولما تكامل تهيؤ المشركين للانصراف، أشرف أبو سفيان على الجبل فنادى: أفيكم محمد، فلم يجيبوه، فقال: أفيكم ابن أبي قحافة؟ فلم يجيبوه، فقال: أفيكم عمر بن الخطاب؟ فلم يجيبوه. فقال: أما هؤلاء فقد كفيتموهم، فلم يملك عمر نفسه أن قال: يا عدو الله إن الذين ذكرتهم أحياء، وقد أبقى الله ما يسوءك. ثم قال: أُعل هبل، فقال رسول الله: ((ألا تجيبونه)) فقالوا: ما نقول؟ قال: ((قولوا: الله أعلى وأجل)). ثم قال: لنا العزى ولا عزى لكم، فقال – عليه السلام –: ((ألا تجيبونه)) قالوا: ما نقول؟ قال: ((قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم)) ثم قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، والحرب سجال، فأجاب عمر وقال: لا سواء، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار

وكان أناس من الصحابة قد نقلوا قتلاهم إلى المدينة فأمر النبي – صلى الله عليه وسلم – أ ن يردوهم فيدفنوهم في مضاجعهم وألا يغسلوا، وأن يدفنوا كما هم بثيابهم بعد نزع الحديد والجلود. وكان يدفن الاثنين والثلاثة في القبر الواحد، ويجمع بين الرجلين في ثوب واحد، ويقول : ((أيهم أكثر أَخّذاً للقرآن؟)) فإذا أشاروا إلى الرجل قدمه في اللحد، وقال : ((أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة)) ودفن عبد الله بن عمرو بن حرام وعمرو بن الجموح في قبر واحد لما كان بينهما من المحبة، ودفن مع حمزة ابن أخته عبد الله بن جحش، وكان قد مثّل به غير أنه لم يبقر بطنه.

وفقدوا نعش حنظلة، فوجدوه في ناحية من الأرض يقطر ماء وليس بقربه ماء، فأخبر الرسول – عليه السلام – أصحابه: ((ن الملائكة تغسله)) فسألوا امرأته فأخبرتهم أنه حديث عهد بعرس.

وقال رسول الله: ((من ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع، أفي الأحياء هو أم في الأموات؟ فإني رأيت اثني عشر رمحاً شرعى إليه)) فقال محمد بن مسلمة: أنا، فذهب يبحث عنه فوجده جريحاً في القتلى وبه رمق، فقال له: إن رسول الله يسأل عنك، فقال سعد: أنا في الأموات، فأبلغ رسول الله عني السلام، وقل له إن سعد بن الربيع يقول لك: جزاك الله عنّا خير ما جزى نبياً عن أمته، وقل له: إني أجد ريح الجنة، وأبلغ قولي للأنصار السلام، وقل لهم: إنه لا عذر لكم عند الله إن خُلِصَ إلى نبيكم وفيكم عين تطرِف، ثم لم يبرح أن مات، فأخبر النبي – صلى الله عليه وسلم – بالخبر فاستغفر له.

ووجدوا في الجرحي الأُصيرِم عمرو بن ثابت وبه رمق يسير، وكانوا من قبل يعرضون عليه الإسلام فيأباه، فقالوا: إن هذا الأصيرم ما جاء به؟ لقد تركناه وإنه لمنكر لهذا الأمر، ثم سألوه: ما الذي جاء بك، أحدب على قومك أم رغبة في الإسلام؟ فقال: بل رغبة في الإسلام، آمنت بالله ورسوله، ثم قاتلت مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى أصابني ما ترون، ومات من وقته، فذكروه للرسول – صلى الله عليه وسلم –، فقال: ((هو من أهل الجنة)) قال أبو هريرة: ولم يصلِّ لله صلاة قط.

ووجدوا أيضاً في الجرحي قُزْمان وكان قد قاتل قتال الأبطال، قَتَل وحده سبعة أو ثمانية من المشركين، وجدوه قد أثبتته الجراح، فاحتملوه إلى دار بني ظَفَر، وبشره المسلمون، فقال: والله ما قاتلت إلا عن أحساب قومي، ولولا ذلك ما قاتلت، فلما اشتد به الجراح نحر نفسه، وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول إذا ذُكر له: ((إنه من أهل النار)).

وكان ممن قُتل مع المسلمين مخيريق وكان من اليهود، وقال: إن أُصبت فمالي لمحمد يصنع فيه ما شاء، فقاتل حتى قتل، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: مخيريق خير يهود، ثم جعل ماله وكانت سبع حوائط أوقافاً بالمدينة فكانت أول وقف بالإسلام.

ولما رأى النبي – صلى الله عليه وسلم – ما بعمه حمزة اشتد حزنه، قال ابن مسعود – رضي الله عنه –: "ما رأينا رسول الله باكياً قط أشد من بكائه على حمزة، وضعه في القبلة، ثم وقف على جنازته وانتحب حتى نشج من البكاء".

وفي مضطرب المعركة نظر حذيفة بن اليمان إلى أبيه والمسلمون يريدون قتله لا يعرفونه، وهم يظنونه من المشركين، فقال حذيفة: أي عباد الله أبي، فلم يفهموا قوله حتى قتلوه، فقال: يغفر الله لكم. فأراد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن يؤدي ديته، فقال حذيفة: قد تصدقت بديته على المسلمين، فزاد ذلك حذيفة خيراً عند رسول الله.

ولما انقضت المعركة انصرف المشركون فظنّ المسلمون أنهم قصدوا المدينة لسبي الذراري وإحراز الأموال فشق ذلك عليهم، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – لعلي ابن أبي طالب – رضي الله عنه –: ((اخرج في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون وماذا يريدون؟

فإن هم جنبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة، وإن هم ركبوا الخيل وساقوا الإبل فإنهم يريدون المدينة، فوالذي نفسي بيده لو أرادوها لأسيرنّ إليهم ثم لأناجزهم فيها)) قال علي: فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون؟ فجنبوا الخيل وامتطوا الإبل ووجهوا مكة.

روى الإمام أحمد قال: لما كان يوم أحد وانكفأ المشركون قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: ((استووا حتى أثني على ربي – عز وجل –)) فصاروا خلفه صفوفاً فقال: ((اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لمن أضللت، ولا مضل لمن هديت، ولا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت، ولا مقرب لما باعدت، ولا مبعد لما قربت، اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك، اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول، اللهم إني أسألك العون يوم العيلة، والأمن يوم الخوف،

اللهم إني عائذ بك من شر ما أعطيتنا، وشر ما منعتنا، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، اللهم توفنا مسلمين وأحينا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين،

اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك، واجعل عليهم رجزك وعذابك، اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب إله الحق))، ولما فرغ رسول الله من دفن الشهداء والثناء على الله والتضرع إليه انصرف راجعاً إلى المدينة.

ونزل القرآن يلقي ضوءاً على جميع المراحل المهمة من هذه المعركة مرحلة مرحلة، فأنزل الله ستين آية من سورة آل عمران تبتدئ بذكر أول مرحلة من مراحل المعركة : {وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [(121) سورة آل عمران]، وتترك في نهايتها تعليقاً جامعاً على نتائج هذه المعركة وحكمتها {مَّا كَانَ اللّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاء فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ} [(179) سورة آل عمران].

جهاد حمزة بن عبد المطلب فى غزوة أحد

شهد حمزة بن عبد المطلب غزوة أحد ، فقُتل بها يوم السبت في النصف من شوال، وكان قَتَل من المشركين قبل أن يقتل واحداً وثلاثين نفساً، [وقاتل حمزةَ حتى قَتَل أرطاة بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، وكان أحد النفر الذين يحملون اللواء. وكذلك قتل عثمان بن أبي طلحة وهو حامل اللواء وهو يقول:

إن على أهل اللواء حقاً　　　　أن يخضبوا الصعدة أو تندقا

فحمل عليه حمزة فقتله. ثم مر به سباع بن عبد العزى الغبشاني، وكان يكنى بأبي نيار، فقال حمزة: «هلم إلي يا ابن مقطعة البظور»، وكانت أمُّه أمُّ أنمارٍ مولاةَ شريق بن عمرو بن وهب الثقفي، وكانت ختانة بمكة، فلما التقيا ضربه حمزة فقتله .

وقد روي عن ابن الشياب أنه قال: «كان رسول الله ﷺ آخر أصحابه يوم الشعب (يعني يوم أحد)، ليس بينه وبين العدو غير حمزة، يقاتل العدو حتى قُتل، وقد قَتَل الله بيد حمزة رضي الله عنه من الكفار واحداً وثلاثين رجلاً، وكان يدعى أسد الله.«

وكان جبير بن مطعم النوفلي القرشي قد دعا غلاماً له حبشياً يقال له وحشي، يقذف بحربة له قذف الحبشة ، قلما يخطئ بها، فقال له: « اخرج مع الناس، فإن أنت قتلت حمزة عمَّ محمد بعمي طعيمة بن عدي، فأنت عتيق .«وكان وحشي كلما مر بهند بنت عتبة أو مرت به تقول: «ويهاً أبا دسمة، اشف واشتف»، أي تحرضه على قتل حمزة بن عبد المطلب .

وكان حمزة يقاتل يومئذ بسيفين، فقال قائل: «أي أسد هو حمزة!»، فبينما هو كذلك إذ عثر عثرة وقع منها على ظهره، فانكشف الدرع عن بطنه، فزرقه وحشي الحبشي مولى جبير بن مطعم بحربة فقتله. ومثّل به المشركون، وبجميع قتلى المسلمين إلا حنظلة بن أبي عامر الراهب الأوسي، فإن أباه كان مع المشركين فتركوه لأجله، وجعلت نساء المشركين) هند بنت عتبة وصواحباتها) يجدعن أُنفَ المسلمين وآذانَهم ويبقرون بطونَهم، وبقرت هند بطن حمزة فأخرجت كبده، فجعلت تلوكها فلم تسغها فلفظتها، فقال الرسول محمد» :لو دخل بطنها لم تمسها النار [.«وذكر موسى بن عقبة: « أن الذي بقر عن كبد حمزة وحشيٌّ، فحملها إلى هند فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها، فالله أعلم.«

وكان مقتل حمزة للنصف من شوال من سنة3 هـ، وكان عمره سبعاً وخمسين سنة، على قول من يقول إنه كان أسن من الرسول محمد بسنتين، وقيل: كان عمره تسعاً وخمسين سنة، على قول من يقول إنه كان أسن من الرسول محمد بأربع سنين، وقيل: كان عمره أربعاً وخمسين سنة، وهذا يقوله من جعل مقام الرسول محمد بمكة بعد الوحي عشر سنين، فيكون للرسول اثنتان وخمسون سنة، ويكون لحمزة أربع وخمسون سنة، فإنهم لا يختلفون في أن حمزة أكبر من الرسول محمد .

وحشي يروي قصة قتله حمزة

روي عن وحشي بن حرب أنه حدَّث جعفر بن عمرو بن أمية الضمري الكناني وعبيد الله بن عدي بن الخيار النوفلي القرشي بقصة قتله حمزة بن عبد المطلب، فقال

...أما إني سأحدثكما كما حدثت رسول الله ﷺ حين سألني عن ذلك، كنت غلاماً لجبير بن مطعم، وكان عمه طعيمة بن عدي قد أصيب يوم بدر،

فلما سارت قريش إلى أحد، قال لي جبير: «إن قتلت حمزة عم محمد بعمي فأنت عتيق»، فخرجت مع الناس، وكنت رجلاً حبشياً أقذف بالحربة قذف الحبشة، قلما أخطئ بها شيئاً، فلما التقى الناس خرجت أنظر حمزة وأتبصره، حتى رأيته في عرض الناس مثل الجمل الأورق، يهدُّ الناس بسيفه هدًّا، ما يقوم له شيء، فوالله إني لأتهيأ له، أريده وأستتر منه بشجرة أو حجر ليدنو مني إذ تقدمني إليه سباع بن عبد العزى، فلما رآه حمزة قال له: «هلم إلي يا ابن مقطعة البظور»، فضربه ضربة كأن ما أخطأ رأسه، وهززت حربتي،

حتى إذا رضيت منها، دفعتها عليه، فوقعت في ثنته، حتى خرجت من بين رجليه، وذهب لينوء نحوي، فغُلب، وتركته وإياها حتى مات، ثم أتيته فأخذت حربتي، ثم رجعت إلى العسكر، فقعدت فيه، ولم يكن لي بغيره حاجة، وإنما قتلته لأعتق.

فلما قدمت مكة أعتقت، ثم أقمت حتى إذا افتتح رسول الله ﷺ مكة هربت إلى الطائف، فمكثت بها، فلما خرج وفد الطائف إلى رسول الله ﷺ ليُسلموا تعيت علي المذاهب،

فقلت: «ألحق بالشأم، أو اليمن، أو ببعض البلاد»، فوالله إني لفي ذلك من همي، إذ قال لي رجل: «ويحك! إنه والله ما يقتل أحداً من الناس دخل في دينه، وتشهَّد شهادتَه»، فلما قال لي ذلك، خرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ المدينة، فلم يرعه إلا بي قائماً على رأسه أتشهد بشهادة الحق، فلما رآني قال» :أوحشي؟«، قلت: «نعم يا رسول الله»، قال» :اقعد فحدثني كيف قتلت حمزة«، فحدثته كما حدثتكما، فلما فرغت من حديثي قال» :ويحك! غيب عني وجهك، فلا أرينك«، فكنت أتنكب رسول الله ﷺ حيث كان لئلا يراني، حتى قبضه الله ﷺ

فلما خرج المسلمون إلى مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة خرجت معهم، وأخذت حربتي التي قتلت بها حمزة، فلما التقى الناس رأيت مسيلمة الكذاب قائما في يده السيف، وما أعرفه، فتهيأت له، وتهيأ له رجل من الأنصار من الناحية الأخرى، كلانا يريده، فهززت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه، فوقعت فيه، وشد عليه الأنصاري فضربه بالسيف، فربك أعلم أينا قتله، فإن كنت قتلته، فقد قتلت خير الناس بعد رسول الله ﷺ ، وقد قتلت شر الناس.

وقال ابن هشام :فبلغني أن وحشياً لم يزل يُحَدُّ في الخمر حتى خُلع من الديوان، فكان عمر بن الخطاب يقول : »قد علمت أن الله تعالى لم يكن ليدعَ قاتل حمزة[54].«

حزن الرسول والمسلمين على مقتل حمزة

وخرج الرسول محمد يلتمس حمزة بن عبد المطلب، فوجده ببطن الوادي قد بقر بطنه عن كبده، ومثّل به، فجُدع أنفه وأذناه، فقال حين رأى ما رأى» :لولا أن تحزن صفية، ويكون سنة من بعدي لتركته، حتى يكون في بطون السباع، وحواصل الطير، ولئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم« ، فلما رأى المسلمون حزن الرسول محمد وغيظه على من فُعل بعمه ما فُعل، قالوا: «والله لئن أظفرنا الله بهم يوماً من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب.«

وعن ابن عباس أنه قال: «أن الله عز وجل أنزل في ذلك، من قول رسول الله ﷺ ، وقول أصحابه ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ۝١٢٦ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ]﴾ ۝١٢٧ ، فعفا رسول الله ﷺ ، وصبر ونهى عن المثلة.«

ولما وقف الرسول محمدﷺ على حمزة قال» : لن أصاب بمثلك أبداً، ما وقفت موقفاً قط أغيظ إلي من هذا«، [ثم قال» :جاءني جبريل فأخبرني أن حمزة بن عبد المطلب مكتوب في أهل السموات السبع: حمزة بن عبد المطلب، أسد الله وأسد رسوله .«وقال أبو هريرة» :وقف رسول الله ﷺ على حمزة وقد مُثِّل به، فلم يرَ منظراً كان أوجع لقلبه منه فقال» :رحمك الله، أي عم، فلقد كنت وصولاً للرحم فعولاً للخيرات وقال جابر : «لما رأى رسول الله ﷺ حمزة قتيلاً بكى، فلما رأى ما مُثِّل به شهق، وقال» :لولا أن تجد صفية لتركته حتى يحشر من بطون الطير والسباع«»، وصفية هي أخت حمزة وهي أم الزبير بن العوام .وروى محمد بن عقيل عن جابر أنه قال: «لما سمع النبي ﷺ ما فُعل بحمزة شهق، فلما رأى ما فُعل به صعق"

وأقبلت صفية بنت عبد المطلب لتنظر إليه، وكان أخاها لأبيها وأمها، فقال الرسول محمدﷺ لابنها الزبير بن العوام» :القها فأرجعها، لا ترى ما بأخيها«، فقال لها: «يا أمه، إن رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعي»، قالت: «ولم؟ وقد بلغني أن قد مثل بأخي،

وذلك في الله، فما أرضانا بما كان من ذلك! لأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله»، فلما جاء الزبير إلى الرسول محمد فأخبره بذلك، قال» :خل سبيلها«، فأتته فنظرت إليه، فصلت عليه واسترجعت واستغفرت له، ثم أمر به الرسول محمد فدفن .

وعن جابر بن عبد الله قال: «كان النبي ﷺ يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في قبر واحد، يقول» :أيهم أكثر أخذاً للقرآن؟«، فإذا أشير إلى أحدهما قدمه في اللحد، وقال» :أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة« ، وأمر بدفنهم في دمائهم، فلم يغسلوا، ودفن حمزة وابن أخته عبد الله بن جحش الأسدي في قبر واحد، وكُفّن حمزة في نمرة، فكان إذا تُركت على رأسه بدت رجلاه، وإذا غطى بها رجلاه بدا رأسه، فجعلت على رأسه، وجعل على رجليه شيء من الإذخر». وروى يونس بن بكير عن ابن إسحاق أنه قال: «كان ناس من المسلمين قد احتملوا قتلاهم إلى المدينة ليدفنوهم بها، فنهى رسول الله ﷺ عن ذلك، وقال» :ادفنوهم حيث صرعوا"

الصلاة على حمزة

روي عن ابن عباس أنه قال: «أمر رسول الله ﷺ بحمزة فسُجِّي ببردة ثم صلى عليه، فكبر سبع تكبيرات، ثم أتى بالقتلى يوضعون إلى حمزة، فصلى عليهم وعليه معهم حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة«، وروي عن أنس بن مالك أنه قال: «كان النبي ﷺ إذا كبَّر على جنازة كبَّر عليها أربعاً، وأنه كبَّر على حمزة سبعين تكبيرة»، وقال أبو أحمد العسكري: «وكان حمزة أول شهيد صلّى عليه رسول الله.«ﷺ

وفي رواية عن أبي سفيان أنه قال: «قد كانت في القوم مثلةٌ، وإن كانت لَعَنْ غَيرِ مَلأٍ منَّا، ما أَمرتُ ولَا نَهيتُ ولَا أَحببتُ ولَا كَرِهتُ، ولا ساءني ولا سرني. قال: فنظروا فإذا حمزة قد بُقِرَ بطنُه، وأخذت هند كبداً فلاكتها فلم تستطع أن تأكلها، فقال رسول الله» :ﷺ أأكلت شيئاً؟«، قالوا: «لا»، قال» :ما كان الله ليدخل شيئاً من حمزة في النار«

قال: فوضع رسول الله ﷺ حمزة فصلى عليه، وجيء برجل من الأنصار فوضع إلى جنبه فصلى عليه، فرفع الأنصاري وتُرك حمزة، وجيء بآخر فوضعه إلى جنب حمزة فصلى عليه، ثم رفع وتُرك حمزة، حتى صلى عليه يومئذ سبعين صلاة.«

العودة إلى المدينة ورثاء حمزة

ثم انصرف الرسول محمدّ راجعاً إلى المدينة المنورة، فلقيته حمنة بنت جحش الأسدية، فلما لقيت الناس نَعي إليها أخوها عبد الله بن جحش الأسدي، فاسترجعت واستغفرت له، ثم نَعي لها خالها حمزة بن عبد المطلب، فاسترجعت واستغفرت له، ثم نعي لها زوجها مصعب بن عمير العبدري القرشي، فصاحت وولولت، فقال الرسول محمدّ» :إن زوج المرأة منها لبمكان«، لما رأى من تثبتها عند أخيها وخالها، وصياحها على زوجها .

ومر الرسول محمدّ بدار من دور الأنصار من بني عبد الأشهل وبني ظفر من الأوس، فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم، فذرفت عيناه فبكى، ثم قال» :

لكن حمزة لا بواكي له«، فلما رجع سعد بن معاذ وأسيد بن حضير إلى دار بني عبد الأشهل أمرا نساءهم أن يتحزمن، ثم يذهبن فيبكين على عم الرسولِ محمدٍ، فلما سمع الرسولُ محمدَ بكاءهن على حمزة خرج عليهن وهن على باب مسجده يبكين عليه، فقال» :ارجعن يرحمكن الله، فقد آسيتن بأنفسكن«، قال ابن هشام» :ونَهي يومئذ عن النوح». وروي عن أبي عبيدة أن الرسول محمداً لما سمع بكاءهن قال» :رحم الله الأنصار، فإن المواساة منهم ما عتمت لقديمة، مروهن فلينصرفن.«وقال كعب بن مالك السلمي الخزرجي برثاء حمزة هذه الأبيات (وقيل هي لعبد الله بن رواحة الحارثي الخزرجي]:(

وقد روي عن سعد بن إبراهيم عن أبيه أن عبد الرحمن بن عوف أُتي بطعام، وكان صائماً فقال: «قُتل مصعب بن عمير ، وهو خير مني، فكُفن في بردته، إن غطي رأسه بدت رجلاه، وإن غطي رجلاه بدا رأسه»، وأراه قال: « وقُتل حمزة وهو خير مني، ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط»، أو قال: « أُعطينا من الدنيا ما أُعطينا، وقد خشينا أن تكون حسناتُنا عجلت لنا»، ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام.

زيجات حمزة بن عبد المطلب

تزوج حمزة بن عبد المطلب عدة زوجات هنَّ:

بنت الملة بن مالك بن عبادة بن حجر بن عوف الأوسية الأنصارية، وهي التي أنجبت لحمزة

يعلى بن حمزة بن عبد المطلب، ابنُ عم الرسولِ محمدٍ. قال الزبير» :لم يعقب أحد من بني حمزة بن عبد المطلب إلا يعلى وحده، فإنه ولد له خمسة رجال لصلبه، وماتوا ولم يعقبوا، فلم يبق لحمزة عقب.«

عامر بن حمزة بن عبد المطلب، ودرج وهو صغير .

بكر بن حمزة بن عبد المطلب، ودرج وهو صغير .

خولة بنت قيس بن قهد بن قيس بن ثعلبة بن غنم بن مالك النجارية الخزرجية الأنصارية، تكنى أم محمد، وقيل أم حبيبة. وقد قيل إن امرأة حمزة خولة بنت ثامر، وقيل إن ثامراً لقب لقيس بن قهد، قال علي بن المديني» :خولة بنت قيس هي خولة بنت ثامر».

وقد قُتل عنها حمزة يوم أحد، فخلف عليها النعمان بن العجلان الزرقي الخزرجي الأنصاري .وهي التي أنجبت لحمزة:

عمارةِ بن حمزةِ بن عبد المطلب، ابنُ عم الرسولِ محمدٍ، وبه كان حمزةِ يُكنَّى. وقد توفي الرسول محمدّ ولعمارة ويعلى ابني حمزة أعوام .

سلمى بنت عميس الشهرانية الخثعمية، أخت أسماء بنت عميس زوج جعفر بن أبي طالب، وهي إحدى الأخوات اللاتي قال فيهن الرسول محمدّ» :الأخوات مؤمنات .«وكانت سلمى زوج حمزة بن عبد المطلب، ثم خلف عليها بعده شداد بن أسامة بن الهاد الليثي الكناني، فولدت له عبد الله، وعبد الرحمن .وهي التي أنجبت لحمزة:

أمامة بنت حمزة بن عبد المطلب، وقال بعض الرواة أن اسمها فاطمة وقيل أمة الله وقيل ابنة وقيل أم ورقة، وتكنى أم الفضل، وهي التي اختصم فيها علي وجعفر وزيد لما خرجت من مكة،

وسألت كلَّ من مر بها من المسلمين أن يأخذها فلم يفعل، فاجتاز بها عليٌّ فأخذها، فطلب جعفر أن تكون عنده لأن خالتها أسماء بنت عميس عنده، وطلبها زيد بن حارثة أن تكون عنده لأنه كان قد آخى الرسول بينه وبين أبيها حمزة، فقضى بها الرسول لجعفر لأن خالتها عنده. ثم زوَّجها الرسول محمدً من سلمة ابن أبي سلمة المخزومي القرشي،

فلما زوَّجه إياها أقبل على أصحابه وقال» :هل تروني كافأته؟«، وذلك لأن سلمة هو الذي زوَّج أمَّه أم سلمة للرسولِ محمدٍ. وأما أخوا أمامة بنت حمزة لأمها فهما عبدُ الله وعبدُ الرحمن ابنا شداد بن الهاد الليثي الكناني .

شهداء غزوة أحد

ويتخذ منكم شهداء:

ومن الحكم إكرام الله بعض عباده بنيل الشهادة، التي هي من أعلى المراتب والدرجات، فأراد – عز وجل – أن يتخذ من عباده شهداء تراق دماؤهم في سبيله، ويؤثرون محبته ورضاه على نفوسهم.

مصعب بن عمير ﵁:

قال خباب ﵁: هاجرنا مع رسول الله ﷺونحن نبتغي وجه الله، فوقع أجرنا على الله فمنا من مضى في سبيله ولم يأكل من أجره شيئاً، منهم مصعب بن عمير قُتل يوم أحد، ولم يترك إلا نمرة، كنا إذا غطينا رأسه بدت رجلاه، وإذا غطينا رجليه بدا رأسه، فقال رسول الله ﷺ: «غطوا رأسه، واجعلوا على رجليه الإذخر»، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها1,

---

([1]) البخاري في الجنائز، رقم 1286.

([7]) البخاري في الجنائز رقم 1274، 1275.

ومن حديث عبد الرحمن بن عوف أنه أتى بطعام وكان صائما، فقال: قتل مصعب بن عمير، وكان خيرا مني, فلم يوجد له ما يكفن فيه إلا بردة, وقتل حمزة أو رجل آخر خير مني، فلم يوجد له ما يكفن فيه، إلا بردة، لقد خشيت أن يكون قد عجلت لنا طيباتنا في حياتنا الدنيا، ثم جعل يبكي2

ومن حديث أبي هريرة ﷺ قال: إن رسول الله ﷺ حين انصرف من أحد مر على مصعب بن عمير وهو مقتول على طريقه، فوقف عليه ودعا له ثم قرأ هذه الآية:

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾ 3 ثم قال رسول الله ﷺ : «أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة، فأتوهم وزوروهم, والذي نفسي بيده لا يسلم عليهم أحد إلى يوم القيامة إلا ردوا عليه»4.

---

3 -[الأحزاب: 23]

(4) انظر: المستدرك (200/3) صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

سعد بن الربيع ﷺ:

هذا الذي استكتمه رسول الله ﷺ خبر مسير قريش، وكان رسول الله ﷺيحبه، فلما انتهت معركة أحد قال رسول الله ﷺ: «من رجل ينظر ما فعل سعد بن الربيع أفي الأحياء هو أم في الأموات»؛ لأن النبي ﷺ قد رأى الأسنة شرعت إليه، فقال أبي بن كعب5 ﷺ: أنا أنظره لك يا رسول الله، فقال له: «إن رأيت سعد بن الربيع فأقرأه مني السلام، وقل له: يقول لك رسول الله ﷺكيف يجدك؟» فنظر أبي فوجده جريحا به رمق، فقال له: إن رسول الله ﷺأمرني أن أنظر أفي الأحياء أنت أم في الأموات، فقال: قد طعنت اثنتي عشرة طعنة, وقد أنفذت إلى مقاتلي6, وفي رواية صحيحة قال: على رسول الله وعليك السلام، قل له: يا رسول الله أجد ريح الجنة، وقل لقومي الأنصار: لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى رسول الله ﷺ وفيكم شفر7يطرف, قال: وفاضت نفسه رحمه الله8. وهذا نصح لله ورسوله في سكرات الموت يدل على قوة الإيمان، والحرص على الوفاء بالبيعة لم يتأثر بالموت ولا آلام القروح.

---

[5]) وفي رواية أن المرسل هو زيد بن ثابت وليس أبي .كما جاء في زاد المعاد ص 207 ط15 مؤسسة الرسالة

([6]) انظر: السيرة الحلبية (532/2). ([3]) شفر: العين.

([8]) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص294. ([5]) المصدر السابق, 293.

عبد الله بن جحش ﵁:

قال سعد بن أبي وقاص ﵁: إن عبد الله بن جحش قال له يوم أحد: ألا تدعو الله، فخلوا في ناحية فدعا سعد فقال: يا رب إذا لقيت العدو، فلقّني رجلاً شديداً بأسه، شديداً حرده، أقاتله ويقاتلني، ثم ارزقني الظفر عليه حتى أقتله، وآخذ سلبه، فأمن عبد الله بن جحش، ثم قال: اللهم ارزقني رجلاً شديداً حرده، شديداً بأسه، أقاتله فيك ويقاتلني، ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني، فإذا لقيتك غداً، قلت: من جدع أنفك وأذنك؟ فأقول: فيك وفي رسولك، فتقول صدقت, قال سعد: يا بني كانت دعوة عبد الله بن جحش خيرا من دعوتي، لقد رأيته آخر النهار وإن أنفه وأذنه لمعلقان في خيط9. وفي هذا الخبر جواز دعاء الرجل أن يقتل في سبيل الله، وتمنيه ذلك وليس هذا من تمني الموت المنهي عنه10.

([10]) انظر: زاد المعاد (212/3).

أَنَسِ بْنِ النّضْرِ ﷺ:

ولما انهزم الناس لم ينهزم أنس بن النضر . وقال اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعني المسلمين وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين ثم تقدم فلقيه سعد بن معاذ فقال أين يا أبا عمر ؟ فقال أنس واهاً لريح الجنة يا سعد إني أجده دون أحد ثم مضى فقاتل القوم حتى قتل فما عرف حتى عرفته أخته ببنانه وبه بضع وثمانون ما بين طعنة برمح وضربة بسيف ورمية بسهم

حنظلة بن أبي عامر – ﷺ– (غسيل الملائكة):

لما انكشف المشركون ضرب حنظلة فرس أبي سفيان بن حرب فوقع على الأرض، فصاح حنظلة يريد ذبحه، فأدركه الأسود بن شداد، ويقال له ابن شعوب، فحمل على حنظلة بالرمح فأنفذه ومشى إليه حنظله بالرمح وقد أثبته، ثم ضرب الثانية فقتله، فذكر ذلك لرسول الله – ﷺ – فقال: « إني رأيت الملائكة تغسله بين السماء والأرض بماء المزن، في صحاف الفضة» فقال رسول الله – ﷺ-: «فاسألوا أهله ما شأنه؟ » فسألوا صاحبته عنه فقالت: خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة، فقال رسول الله – ﷺ-: «فلذلك غسلته الملائكة».

وفي رواية الواقدي: وكان حنظلة بن أبي عامر تزوج جميلة بنت عبد الله بن أبي ابن سلول، فأدخلت عليه في الليلة التي في صبحها قتال أحد، وكان قد استأذن رسول الله – ﷺ – أن يبيت عندها فأذن له، فلما صلى بالصبح غدا يريد رسول الله – ﷺ– ولزمته جميلة فعاد فكان معها، فأجنب منها ثم أراد الخروج، وقد أرسلت قبل ذلك إلى أربعة من قومها فأشهدتهم أنه قد دخل بها، فقيل لها بعد: لم أشهدت عليه؟ قالت: رأيت كأن السماء فرجت فدخل فيها حنظلة ثم أطبقت، فقلت: هذه الشهادة، فأشهدت عليه أنه قد دخل بها، وفي تعلق جميلة بنت عبد الله بن أبي حنظلة بن أبي عامر حين رأت له تلك الرؤيا التي فسرتها بالشهادة، فالمظنون في مثل هذه الحال أن تحاول الابتعاد عنه حتى لا تحمل منه فتكون بعد ذلك غير حظية لدى الخطاب، لكنها تعلقت به رجاء أن تحمل منه فتلد ولدا ينسب لذلك الشهيد الذي بلغ درجات عليا في الصلاح أولاً، ثم بما ترجوه من نيله الشهادة، ولقد حصل لها ما أملت به فحملت منه وولدت ولدا ذكرا سمي عبد الله، وكان له ذكر بعد ذلك، وكان من أعلى ما يفتخر به أن يقول: أنا ابن غسيل الملائكة.

عبد الله بن عمرو بن حرام -رضي الله عنه-

رأى عبد الله بن عمرو رؤية في منامه قبل أحد, قال: رأيت في النوم قبل أحد، مبشر بن عبد المنذر يقول لي: أنت قادم علينا في أيام، فقلت: وأين أنت؟ فقال: في الجنة نسرح فيها كيف نشاء، قلت له: ألم تقتل يوم بدر؟ قال: بلى ثم أحييت، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: هذه الشهادة يا أبا جابر, وقد تحققت تلك الرؤيا بفضل الله ومنه.

أصر عبد الله بن عمرو بن حرام على الخروج في غزوة أحد، فخاطب ابنه جابر بقوله: يا جابر، لا عليك أن تكون في نظاري المدينة حتى تعلم إلى ما يصير أمرنا، فإني والله لولا أني أترك بنات لي بعدي لأحببت أن تقتل بين يدي

وقال لابنه أيضا: ما أراني إلا مقتولاً في أول من يقتل من أصحاب النبي ﷺ، وإني لا أترك بعدي أعز علي منك غير نفس رسول الله ﷺ، وإن على ديناَ فاقض واستوص بأخواتك خيرا11. وخرج مع المسلمين ونال وسام الشهادة في سبيل الله، فقد قتل في معركة أحد, وهذا جابر يحدثنا عن ذلك حيث يقول: لما قُتل أبي يوم أحد، جعلت أكشف عن وجهه وأبكي، وجعل أصحاب رسول الله ﷺينهوني وهو لا ينهاني، وجعلت عمتي تبكيه، فقال النبي ﷺ: «تبكين أو لا تبكين ما زالت الملائكة تظلله بأجنحتها حتى رفعتموه».

وقال رسول الله ﷺ: «يا جابر ما لي أراك منكسرا؟» قال: يا رسول الله، استشهد أبي وترك عيالاً وديناَ، قال ﷺ: «أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك؟» قال: بلى يا رسول الله، قال ﷺ:

[11] البخاري رقم 1351.

« ما كلّم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب، وكلم أباك كفاحاً، يا جابر أما علمت أن الله أحيا أباك فقال: يا عبدي، تمنَّ علي أعطك، قال: يا رب تحييني فأُقتل فيك ثانية، فقال الرب سبحانه: إنه سبق مني أنهم إليها لا يرجعون, قال: يا رب.. فأبلغ من ورائي»12. فأنزل الله تعالى: (وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾

خيثمة أبو سعد – رضي الله عنه– :

قال خيثمة أبو سعد، وكان ابنه استشهد مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم– يوم بدر، لقد أخطأتني وقعة بدر، وكنت والله عليها حريصا، حتى ساهمت ابني في الخروج، فخرج سهمه، فرزق الشهادة، وقد رأيت البارحة ابني في النوم في أحسن صورة يسرح في ثمار الجنة وأنهارها، ويقول: الحق بنا ترافقنا في الجنة، فقد وجدت ما وعدني ربي حقاً،

(12) صحيح ابن ماجة للألباني، رقم 190 (2800).   (7) انظر: زاد المعاد (208/3).

وقد والله يا رسول الله أصبحت مشتاقا إلى مرافقته في الجنة، وقد كبرت سني، ورقَّ عظمي، وأحببت لقاء ربي، فادع الله يا رسول الله أن يرزقني الشهادة، ومرافقة سعد في الجنة، فدعا له رسول الله – ﷺ– بذلك فقتل بأحد شهيدا[13].

وهب المزني وابن أخيه – رضي الله عنهما –:

أقبل وهب بن قابوس المزني، ومعه ابن أخيه الحارث بن عقبة بن قابوس، بغنم لهما من جبل مزينة، فوجدا المدينة خلوا فسألا: أين الناس؟ فقالوا: بأحد، خرج رسول الله – ﷺ– يقاتل المشركين من قريش، فقالا: لا نبتغي أثرا بعد عين فخرجا حتى أتيا النبي – ﷺ– بأحد فيجدان القوم يقتتلون والدولة لرسول الله – ﷺ– وأصحابه، فأغارا مع المسلمين في النهب، وجاءت الخيل من وراءهم، خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل، فاختلطوا، فقاتلا أشد القتال، فانفرقت فرقة من المشركين فقال رسول الله – ﷺ–: «من لهذه الفرقة؟ » فقال وهب بن قابوس: أنا يا رسول الله، فقام فرماهم بالنبل حتى انصرفوا ثم رجع. فانفرقت فرقة أخرى

---

[13] – انظر: زاد المعاد (208/3). ([2]) انظر: المغازي للواقدي (275/1).

فقال رسول الله – ﷺ–: «من لهذه الكتيبة؟ » فقال المزني: أنا يا رسول الله، فقام فذبها بالسيف حتى ولوا، ثم رجع المزني، ثم طلعت كتيبة أخرى فقال: «من يقوم لهؤلاء؟ » فقال المزني: أنا يا رسول الله، فقال: «قم، وأبشر بالجنة» فقام المزني مسرورا يقول: والله لا أقيل ولا أستقيل، فقام فجعل يدخل فيهم فيضرب بالسيف، ورسول الله – ﷺ– ينظر إلى المسلمين، حتى خرج من أقصاهم ورسول الله – ﷺ– يقول: «اللهم ارحمه» ثم يرجع فيهم، فما زال كذلك وهم محدقون به، حتى اشتملت عليه أسيافهم ورماحهم فقتلوه، فوجد به يومئذ عشرون طعنة برمح، كلها قد خلصت إلى مقتل، ومثل به أقبح المثلة يومئذ، ثم قام ابن أخيه فقاتل قتاله حتى قتل، فكان عمر بن الخطاب يقول: إن أحب ميتة أموت لما مات عليها المزني.

وكان بلال بن الحارث المزني يحدث يقول: شهدنا القادسية مع سعد بن أبي وقاص، فلما فتح الله علينا وقسمت بيننا غنائمنا، فأسقط فتى من آل قابوس من مزينة، فجئت سعدا حين فرغ من نومه فقال: بلال ؟ قلت: بلال، قال: مرحبا بك، من هذا معك؟ قلت: رجل من قومي من آل قابوس، قال سعد: ما أنت يا فتى من المزني الذي قتل يوم أحد؟

قال: ابن أخيه، قال سعد: مرحبا وأهلاً وأنعم الله بك عيناً، ذلك الرجل شهدت منه يوم أحد مشهداً ما شهدته من أحد، لقد رأيتنا وقد أحدق المشركون بنا من كل ناحية ورسول الله – ﷺ– وسطنا، والكتائب تطلع من كل ناحية، وإن رسول الله – ﷺ– ليرمي ببصره في الناس يتوسمهم يقول: «من لهذه الكتيبة؟ » كل ذلك يقول المزني: أنا يا رسول الله، كل ذلك يرده فما أنسى آخر مرة قامها فقال رسول الله – ﷺ–: «قم وأبشر بالجنة» قال سعد: وقمت على أثره يعلم الله أني أطلب مثل ما يطلب يومئذ من الشهادة، فخضنا حومتهم حتى رجعنا فيهم الثانية، وأصابوه – رحمه الله – وودت والله أني كنت أصبت يومئذ معه، ولكن أجلي استأخر، ثم دعا سعد من ساعته بسهمه فأعطاه وفضله، وقال: اخترِ في المقام عندنا أو الرجوع إلى أهلك، فقال بلال: إنه يستحب الرجوع، فرجعنا.

وقال سعد: أشهد لرأيت رسول الله – ﷺ– واقفاً عليه وهو مقتول، وهو يقول: «رضي الله عنك فإني عنك راضٍ»، ثم رأيت رسول الله – ﷺ– قام على قدميه وقد نال النبي – ﷺ– من الجراح ما ناله، وإني لأعلم أن القيام ليشق عليه على قبره حتى وضع في لحده، وعليه بردة لها أعلام خضر، فمد رسول الله – ﷺ– البردة على رأسه فخمره، وأدركه فيها طولا، وبلغت نصف ساقيه، وأمرنا فجمعنا الحرمل فجعلناه على رجليه، وهو في لحده، ثم انصرف، فما حال أموت عليها أحبُّ إليَّ من أن ألقى الله – تعالى –على حال المزني

وهكذا يفعل الإيمان بأصحابه فهذا وهب المزني وابن أخيه تركا الأغنام بالمدينة والتحقا بصفوف المسلمين وحرصا على نيل الشهادة، فأكرمهما الله بها، وقد كانت تلك الملحمة التي سطرها المزني محفورة في ذاكرة الصحابة، فهذا سعد بن أبي وقاص يتذكرها بعد مرور ثلاث عشرة سنة تقريبا على غزوة أحد لمجرد سماع اسم رجل من عشيرة المزني ويتمنى أن يموت ويلقى الله على مثل حالة المزني.

عمرو بن الجموح – رضي الله عنه – :

كان عمرو بن الجموح – رضي الله عنه – أعرج شديد العرج، وكان له بنون أربعة مثل الأُسد يشهدون مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – المشاهد، وهم خلاد ومعوذ ومعاذ وأبو أيمن، فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه، وقالوا: إن الله – عز وجل – قد عذرك، فأتى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال: إن بني يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه وللخروج معك فيه، فوالله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة، فقال له رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «أما أنت فقد عذرك الله – تعالى –فلا جهاد عليك» وقال لبنيه: «ما عليكم ألا تمنعوه، لعل الله أن يرزقه الشهادة» فخرج وهو يقول مستقبل القبلة: اللهم لا تردني إلى أهلي خائبا فقتل شهيداً.

وفي رواية أتى عمرو بن الجموح – رضي الله عنه – إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال: يا رسول الله: أرأيت إن قاتلت في سبيل الله حتى أقتل، أمشي برجلي هذه صحيحة في الجنة، وكانت رجله عرجاء، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «نعم» فقتلوه يوم أحد هو وابن أخيه ومولى لهم، فمر بهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فجعلوا في قبر واحد[14]

وفي هذا الخبر دليل على أن من عذره الله في التخلف عن الجهاد لمرض أو عرج، يجوز له الخروج إليه، وإن لم يجب عليه، كما خرج عمرو بن الجموح وهو أعرج،وفيه دليل على شجاعة عمرو بن الجموح ورغبته في نيل الشهادة وصدقه في طلبها، وقد أكرمه الله بذلك.

[14] – انظر: المسند (299/5)، السيرة النبوية لابن هشام (101/3).

أبو حذيفة بن اليمان وثابت بن وقش -رضي الله عنهم-:

لما خرج رسول الله – ﷺ– إلى أحد رفع حسيل بن جابر، وهو اليمان أبو حذيفة بن اليمان، وثابت بن وقش في الآطام مع النساء والصبيان، فقال أحدهما لصاحبه وهما شيخان كبيران: لا أبا لك، ما تنتظر؟ فوالله ما بقي لواحد منا من عمره إلا ظمء 15حمار، إنما نحن هامة اليوم أو غد، أفلا نأخذ أسيافنا ثم نلحق برسول الله – ﷺ–، لعل الله يرزقنا شهادة مع رسول الله – ﷺ–؟ فأخذا أسيافهما ثم خرجا حتى دخلا في الناس ولم يعلم بهما، فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون، وأما حسيل بن جابر فاختلفت عليه أسياف المسلمين فقتلوه ولا يعرفونه، فقال حذيفة: أبي، فقالوا: والله إن عرفناه، وصدقوا، قال حذيفة: يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين، فأراد رسول الله – ﷺ– أن يديه، فتصدق حذيفة بديته على المسلمين، فزاده ذلك عند رسول الله – ﷺ– خيرا. وفي هذا الخبر، يظهر أثر الإيمان في نفوس الشيوخ الكبار الذين عذرهم الله في الجهاد وكيف تركوا الحصون وخرجوا إلى ساحات الوغى طلبا للشهادة وحبا وشوقاً للقاء الله

[15] – ظمء حمار: أي مقدار ما بين شربتي حمار

وقفات وعبر من غزوة أحد

أولاً: يجب على الأمة أن تعلم أن الإيمان بهذا الدين، يجب أن يصاحبه يقين تام بنصر الله – جل وعلا – لهذا الدين وتمكينه، قال الله تعالى: {إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ} [(51) سورة غافر]، والوعد الصادق من رسول الله: ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك)) فهذه الطائفة ظاهرة لا يضرها شيء، فقد تخذلهم فئام من الناس، وقد يخذلهم المرجفون الذين يقفون بين الصفين {فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللهِ قَالُواْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُواْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ} [(141) سورة النساء]، كل هؤلاء لن يضروا الدين مهما فعلوا، وإن هذا الوعد الصادق ينبغي أن يكون يقيننا به كيقيننا بهذا الدين الذي نعتقده، ونحتاج هذا اليقين أكثر في ساعات الشدة وأوقات الكرب، يوم تدلهم الخطوب وتكفهرُّ الأحداث،

فنوقظ في النفوس صدق هذا الموعود واليقين به، ولذا كان نبينا صلوات الله وسلامه عليه أشد ما يكون تفاؤلاً في ساعات الشدة وأوقات الكرب، يأتي إليه خباب بن الأرت وقد أمضه الألم من إيذاء المشركين ورسول الله محارَب منهم، ويلقى المسلمون من المشركين الشدة يطردون ويؤذون في شعاب مكة، فيقول: يا رسول الله ألا تدعو لنا؟ ألا تستنصر لنا؟ فماذا أجابه الرسول الكريم؟: ((والله لينصرن الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام وذلاً يذل به الشرك، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا الله والذئب على غنمه))،

يقوله في حين أن المسلم ذلك الوقت لا يأمن أن يسير في فجاج مكة آمناً، ثم انظر إلى رسول الله وللمسلمين معه يوم الأحزاب حينما أحاط به المشركون حينما كبَّر وكبَّر المسلمون معه، وقال لهم لقد أضاءت لي قصور الحيرة ومدائن كسرى، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها، ورأيت القصور الحمر في أرض الروم وأمتي ظاهرة عليها، ورأيت قصور صنعاء وأمتي ظاهرة عليها،

فاستبشر المسلمون حينذاك. وكلما تكالبت على المسلمين الخطوب والكوارث واشتد عليهم الخطب يجب أن يفزعوا إلى يقينهم بصدق موعود الله – عز وجل – وأن هذا الدين له، وهو الذي تكفل بنصره والتمكين له في أرضه وسمائه ولو كره الكافرون. حقيقةٌ ينبغي ألا تغيب مهما غامت الرؤى أو غبشت الأجواء. لم يرتبط نصر هذا الدين مصيره بالدول أو الجماعات أو الأفراد، إن كان الأنبياء قد قتلوا ومع ذلك لم يمتنع أتباعهم عن مواصلة الدعوة والعمل، بل لقد عاتب الله أصحاب نبيه في يوم أحد عندما سرى فيهم الوهن عندما أشيع بين ظهرانيهم أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قد قتل فقال لهم: {وما محمَّدٌ إلا رسولٌ قدْ خلَتْ من قبْله الرُّسلُ أفَإن مَّاتَ أو قُتلَ انقلَبْتُمْ علَى أعْقَابِكُمْ ومن ينقلِبْ علَى عقِبيْه فلَن يضرَّ الله شيئًا وسيجزِي اللهُ الشَّاكرِين} [(144) سورة آل عمران].

ثانياً: بذل الصحابة في هذه المعركة أمر يستحق التأمل: إن هذا الدين وصل إلينا بعد كفاح مرير من الصحابة والأسلاف، ذاقوا فيه مرارة المصائب والمحن. أنس بن النضر يصاب في هذه الغزوة ببضع وثمانين جرحاً، ثم مثّل به بعدها، فلم يعرفه أحد سوى أخته عرفته ببنانه. وفي سعد بن الربيع سبعون طعنة، وحمزة بقرت بطنه ومثّل به، ومصعب بن عمير قطعت ذراعاه ثم قتل، فماذا قدمنا لديننا؟ وللصحابة الكرام الصحبة والسبق والإقدام، تقطعت منهم الأشلاء، وتمزقت الأجساد، وترمل النساء، قدموا أرواحهم فداء لهذا الدين، حتى وصل إلينا كاملاً متمماً.

إن الرجال الذين يكتبون التاريخ بدمائهم وجهادهم، ويوجهون سهامه بعزماتهم، هم الذين صلوا هذه الحرب، وبهذه التضحية وحدها حفظوا مصير الإسلام في الأرض. إنها صور قوية للتضحية والبطولة اصطدم بها الكفر في أول المعركة وآخرها، فانهزم أمامها، وانسحب من تحت أقدامه الأرض، فما ربح شيئاً في بداية القتال، ولا انتفع بما ربح آخره. وهذا اللون من البطولة مسطر في التاريخ ينتظر من يلقي عليه الضوء، ولن يقوم للإسلام صرح ولن ينكشف عنه طغيان إلا بهذه القوة المذخورة في أفئدة الصديقين والشهداء. إن النفس البشرية ليست كاملة في واقعها ولكنها في الوقت ذاته قابلة للنمو والارتقاء حتى تبلغ أقصى الكمال المقدر لها في هذه الأرض.

ثالثاً: وبالمعاصي تدور الدوائر، لم يقف تعقيب القرآن على هذه المعركة العظيمة عند حدود المعركة القتالية ودروسها الحية، بل تعرض بوضوح وتفصيل لأعمال إيمانية كثيرة، ذلك أن القرآن كان يعالج المسلمين على أثر معركة لم تكن معركة في ميدان القتال وحده، إنما كانت معركة في القلوب أيضاً، ومن ثم عرج على الرِبا فنهى عنه، وعرج على الإنفاق في السراء والضراء فحض عليه، وعرج على طاعة الله ورسوله

فجعلها مناط الرحمة، وعرج على كظم الغيظ والعفو عن الناس، وعرج على الإحسان والتطهر من الخطيئة بالاستغفار والتوبة وعدم الإصرار، فجعلها مناط الرضوان. كما عرج على رحمة الله المتمثلة في رحمة الرسول ولين قلبه، وعرج على مبدأ الشورى وتقريره في أحرج الأوقات، وعرج على الأمانة التي تمنع الغلول،

وعرج على البذل والتحذير من البخل في نهاية ما نزل في التعقيب على هذه الغزوة من آيات، عرج على كل هذه الأعمال الصالحة؛ لأن العمل يعتبر مادة مهمة لإعداد الإيمان في نفوس المسلمين. ولم تكن هذه التوجيهات الشاملة بمعزل عن المعركة، فالنفس لا تنتصر في المعركة الحربية إلا حين تنتصر في المعارك الشعورية والأخلاقية، حين تنتصر على نفسها ومعاصيها،

فإذا تطهرت الأمة من الذنوب ورجعت إلى الله كان ذلك من عدَّتها في المعركة، ولم ينعزل ذلك عن الميدان. وإذا كانت معصيةً واحدة هي المخالفة الجزئية لخطة المعركة كما وقع من الرماة في معركة أحد وتطلّعت بعض النفوس إلى الغنائم المادية وتولى بعض الأفراد حين حمى الوطيس نذائر شؤم وأسباب هزيمة وخسارة لذلك الجيل الطاهر، جيل النبي – صلى الله – وصحابته الكرام، فكيف تنتصر أمة الإسلام اليوم وهي تَلقي كتاب ربها وراءها ظهرياً، وتعبد الدرهم والدينار والريال والدولار، ولا يخطر على بالها جهاد قط، حتى لو أُخذت مقدساتها وأخذت أراضيها واستنصرها إخوانها، وتستحل الربا والغلول، وتفعل ما تعرضت له هذه الآيات

وما لم تتعرض له، ثم تستبطئ نصر الله الذي وعد به المؤمنين، وتحسب نفسها مؤمنة حق الإيمان؛ لأنها تَصدّق بقلوبها وتُقر بلسانها! إن مقارنة يسيرة بين حال الأمة في يومها وبين حالها يوم هزمت في معركة أحد وجعلت الهزيمة بسبب معصيتها ومخالفتها لرسولها توحي بأن الأمة اليوم لم تستكمل أسباب النصر والتمكين التي وردت في كتاب الله تعالى، وإنما هي في غفلة معرضة، لم ترفع بالدين رأساً في كثير من بقاعها وأصقاعها وفي كثير من أحوالها وأهوالها. لقد فاضت أرواح في هذه المعركة بسبب خطيئة، وأُخرج آدم من الجنة بمعصيته، ودخلت امرأة النار في هرة. فالزم يا عبد الله الطاعة والعبودية، يؤخذ بيدك في المضايق، وتُفرج لك الشدائد، ولا تجعل أعمالك جنداً عليك، فيزداد بها عدوك قوة عليك.

رابعاً : في أحد وقع خطأ حربي مادي عندما خالف الرماة الأمر العسكري، فدفع المسلمون ثمن المخالفة، فمنع الله النصر عن المسلمين كي لا تتعلق القلوب بغير الله، فخطأ واحد مع كل الفضائل المجتمعة ما حال دون العقوبة والجزاء، فكانت أحد درساً مؤثراً، عمَّق الإيمان مع خالص الحب والطاعة لرسول الله – صلى الله عليه وسلم –،

ففازوا بكامل الإيمان فجاء النصر الدائم المستمر حتى فتح الله عليهم مكة. كانت أحد امتحاناً واختباراً ليعرف المسلمون مراحل إيمانهم، وإلى أية مرحلة وصلوا، فمن آثر الآخرة على الدنيا ومغانمها ازداد إيماناً وعلوا، ومن آثر الدنيا ومغانمها على الآخرة، استدرك ولحق بعد أحد بمن آثر الآخرة على الدنيا.

خامساً: وبعد المخالفة جاء العزاء من الله سبحانه مع عفوه للمسلمين {ثُمَّ صرفَكُم عنْهم ليبتليكم ولقَدْ عفَا عنكُمْ والله ذُو فَضْلٍ علَى الْمؤْمنينَ} [(152) سورة آل عمران]، فكان تضميداً للجراح وتبديلاً للنفوس من الوهن إلى القوة، ومن اليأس إلى الأمل، فانتقلوا إلى حمراء الأسد يحمل بعضهم بعضاً، فكأنما أحياهم بعد موت، وأوجدهم من عدم، مع أنهم كانوا لا يستطيعون المشي من كثرة جراحاتهم، حملهم إيمانهم لا أبدانهم، وحملهم يقينهم لا صحتهم وأجسامهم. وقال – صلى الله عليه وسلم –: ((وأن لا يخرجن معنا أحد إلا من حضر يومنا بالأمس)) فرفض – صلى الله عليه وسلم – بذلك الجندي سليم الجسد مريض القلب، وقبل الجندي جريح الجسد معافى الإيمان صحيح القلب، فساروا وجراحاتهم في صدورهم وليست في ظهورهم واستجابوا بعد أن مسهم القرح.

سادساً : أراد الله أن يدرك المؤمنون سنة من سننه في خلقه، وهو أن النصر لا يكون إلا بأسبابه، وأن الهزيمة لها أسبابها أيضاً حتى لو كان رسول الله بين الصحابة في المعركة. وهذا يدل بوضوح على أن صلاح العقيدة وحده غير كاف لتحقيق النصر، فللنصر نواميسه وأسبابه، وأن الأخذ بهذه الأسباب من صلاح هذه العقيدة.

سابعاً: هيأ الله – سبحانه وتعالى – لعباده المؤمنين الصادقين منازل في دار كرامته، فقيض لهم أسباب الابتلاء ليصلوا إليها، بفضله ومنته أولاً، وبصبرهم وجهادهم واستشهادهم ثانياً، فالشهادة من أعلى مراتب المؤمنين المخلصين، فساقهم الله إليها إكراماً لهم {وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} [(140) سورة آل عمران]، {وَلِيُمَحِّصَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ} [(141) سورة آل عمران].

ثامناً: النفاق وما أدراك ما النفاق، لقد تميز الناس على حقيقتهم في معركة أحد فكانوا ثلاث طوائف سوى الكفار، وإذا كان قد مر معنا خبر طائفة من المؤمنين ثبتت حول النبي – صلى الله عليه وسلم – تحوطه وتدافع عنه حتى استشهد من استشهد منهم، وجرح من جرح، فثمة طائفة أخرى من المؤمنين حصل منهم ما حصل من تول وفرار واستزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا، لكن الله عفا عنهم؛ لأن هذا الفرار لم يكن عن نفاق ولا شك، وإنما كان عارضاً كما قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا اللّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ} [(155) سورة آل عمران]. أما الطائفة الثالثة التي أراد الله لها أن تتكشف على حقيقتها في هذه المعركة فهي طائفة المنافقين، فإن المسلمين لما أظهرهم الله على أعدائهم يوم بدر وطار لهم الصيت دخل معهم في الإسلام ظاهراً من ليس معهم فيه باطناً، فاقتضت حكمة الله – عز وجل – أن سبب لعباده محنة ميزت بين المؤمن والمنافق، فأَطْلَع المنافقون رؤوسهم في هذه المعركة، وتكلموا بما كانوا يكتمونه، وظهرت مخابئهم،

وعاد تلويحهم تصريحاً، وانقسم الناس إلى كافر ومؤمن ومنافق انقساماً ظاهراً، وعرف المؤمنون أن لهم عدواً في نفس دورهم، وهم معهم لا يفارقونهم يجب الحذر منهم، قال الله تعالى: {مَّا كَانَ اللّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاء} [(179) سورة آل عمران]، وكذلك ينبغي أن تكون الشدائد والمحن في كل زمان فيصلاً لتمييز المؤمنين وفضح المنافقين.

تجنّب أخي الحبيب أصحاب السوء، فإنهم يخذّلونك في أحوج ما تكون إليهم، هم في النعماء لك أصدقاء، ولكنهم في الشدائد أعداء، وقد انخذل أهل النفاق عن الصحابة في أحلك المواقف، لذا فالزم الصحبة الصالحة، فهم حافظون لك في الغيب والشهادة، لنفعك يسعون، وعنك يذودون.

تاسعاً: الشباب هم عماد الأمة في أزماتها، في هذه المعركة قاتل سمرة ورافع وهما ابنا خمس عشرة سنة، وعلى دماء فتيان الصحابة علا هذا الدين، لا لهو في الأوقات، ولا مرح في الشهوات، سعى الآباء لإصلاحهم، فـ جنوا ثمرة صلاحهم، فماذا قدم شبابنا لدينهم؟ وما هي همتهم؟ وما همهم؟ وما تطلعاتهم؟ وبم تعلقهم؟.

عاشراً: الدعوة إلى الله هي الأساس، للحق جولة، وللباطل صولة، والعاقبة للتقوى، فلا تيأس من إصلاح المجتمع، ولا تقنط من هدايته، لقد صبر النبي – صلى الله عليه وسلم – على الأذى والجراح، حتى دخل الناس أفواجاً في دين الله، إن عواقب الأمور كلها بيد الله، فامض في الدعوة إلى الله، وداوم على الدعاء، وهداية البشر بيد خالق البشر. أبو سفيان في معركة أحد قاد المشركين وكان شعاره: "اعل هبل"، وفي فتح مكة يقول: "لا إله إلا الله"، ووحشي يقتل حمزة، ثم يسلم، ويقتل مدعي النبوة مسيلمة الكذاب.

الحادي عشر: احذر على نفسك التقلب، فالقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، واسأله دوماً الثبات، والعبد وإن استغرق في العصيان فالتوبة تحط الأوزار وإن بلغت العنان. خالد بن الوليد يقود خيَّالة الكفر في معركة أحد، وقُتِل على يديه فضلاء الصحابة، ولما شرح الله صدره للإسلام، أتى يبايع النبي – صلى الله عليه وسلم – وقال: يا رسول الله، إني أشترط أن تغفَر زلتي، فقال: ((يا خالد، أما علمت أن الإسلام يهدم ما قبله، وأن التوبة تجبُّ ما قبلها؟)). فأنقذ نفسك من وحل الأوزار، وأَقبل على ربك بعيداً عن الآثام، فالحسنات يذهبن السيئات، ولا تستنكف عن التمسك بهذا الدين، فحوله سالت الدماء.

الثاني عشر: المرء قد يبتلى بذوي القربى والأرحام، فاصبر على ما تلاقيه منهم، فأقارب النبي – صلى الله – تركوا أوطانهم وأموالهم، وقدموا إلى المدينة لقتله، وفعلوا ما لم يفعله غالب الكفار، من تمثيلهم بالقتلى، مع أنهم بنو عمه، وفي الفتح عفا عنهم وصفح، وقال: ((أنتم الطلقاء))، فاتخذ النبي – صلى الله عليه وسلم – قدوة لك في الحلم والعفو، وصل رحمك، وغض الطرف عما يسوؤك منهم.

الثالث عشر: في الفرقة والنزاع تبعثَر الجهود، وفي الألفة والاتفاق صفاء القلوب، فاحذر من تفرق الكلمة والاختلاف في الرأي، فهي الهزيمة {وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ} [(46) سورة الأنفال].

الرابع عشر: لا تأمن المعصية من جانب المسرة، وحلاوة الفرح قد تختلط بمرارة الحزن، والصحابة الكرام – رضي الله عنهم – فرحوا بالغنيمة، ونزل الرماة لجمعها، فلحقتهم الهزيمة، والدنيا لا تدوم على حال، فكن صابراً على لأوائها، شاكراً لله في نعمائها.

الخامس عشر: الأنبياء عبيدٌ مخلوقون، يعتريهم ما يعتري البشر، لا يرفعون فوق منزلة العبودية، ولا يُحَطُّ من شأنهم، والنبي – صلى الله عليه وسلم – ظاهر بين درعين ولبس لأمةَ الحرب، وكافح معه الصحابة، وقاتل عنه جبريل وميكائيل أشد القتال، ومع هذا شُجَّ في وجهه، وكسرت رباعيته، والأمر لله من قبل ومن بعد، وهو سبحانه وحده النافع الضار، ولو كان يملك لنفسه شيئاً ما سال الدم منه، فاصرف عبادتك للجبار، وتذلل بين يدي القهار، تتحقق لك بإذن الله المسار.

السادس عشر: من مروآت الأفعال، العرفان لمن خدم الدين، ومن جميل الخلال الوفاء للأصحاب، ودماء شهداء أحد بقيت في نفس الرسول إلى السنة التي مات فيها، فصلى على قتلى أحد بعد ثمان سنين، كالمودع لهم. فأجلّ نبلاء هذا الدين، واحفظ ودَّ خلانك، وارع حق صحبتهم واحفظ سرهم، يقول أبو سفيان: (ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً، كحب أصحاب محمد محمداً) {ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ} [(4) سورة محمد]، {سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ} [(5) سورة محمد]، {وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ} [(6) سورة محمد].

السابع عشر: أن الله سبحانه إذا أراد أن يهلك أعداءه ويمحقهم، قيض لهم التي يستوجبون بها هلاكهم ومحقهم، ومن أعظمها بعد كفرهم بغيهم وطغيانهم واستعمارهم واحتلالهم لبلدان المسلمين، ويزداد بذلك أعداؤه من أسباب محقهم وهلاكهم،

وقد أشار القرآن إلى ذلك ضمن الآيات التي تتحدث عن هذه المعركة، فقال سبحانه: {ولاَ تَهِنُوا ولاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [(139) سورة آل عمران]، {إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} [(140) سورة آل عمران]، {وَلِيُمَحِّصَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ} [(141) سورة آل عمران].

الثامن عشر: إن المنهزم هو الذي هزم في دينه وعقيدته وولائه وبرائه، أما الذي انتصر في دينه وعقيدته وولائه وبرائه فهو الفائز فوزاً كبيراً، ولو قتل وسحق ومحق؛ لأن الفوز هو فوز الآخرة لا فوز الدنيا. فأحدٌ نصر لا هزيمة، معركة فياضةٌ بالعبر والعظات، أحداثها صفحات ناصعة، يتوارثها الأجيال بعد الأجيال. أنزل الله فيها ستين آية في كتابه المبين، كان لها أثر عميق في نفس النبي – صلى الله عليه وسلم – ظل يذكره إلى قبيل وفاته.

إن عادة الرسل أن تُبتلى وتكون لها العاقبة، والحكمة في ذلك أنهم لو انتصروا دائماً دخل في المؤمنين من ليس منهم، ولم يتميز الصادق من غيره، ولو انكسروا دائماً لم يحصل المقصود من البعثة، فاقتضت الحكمة الجمع بين الأمرين لتمييز الصادق من الكاذب، ولو قطع الله كل يد امتدت إلى رسوله في حينه لما بقي إسلام بعده، فلا صبر لداعية، ولا تحمُّل لمسلم. وتحمله – صلى الله عليه وسلم – أسوة وقدوة لتحمل الدعاة المجاهدين من بعده، وتأخير النصر في بعض المواطن حكمة، فهو لتربية النفوس ولكسر شموخها وتعاظمها.

التاسع عشر: جبل أُحد لا يتبرَّك بترابه، ولا تلتقَط حصياته، فعنده قتِل سبعون، وبجانبه جرِح الرسول، ولو كانت تغني شيئاً لما حل المصاب، ففوض أمرك إلى الله، والجأ إليه في كشف الملمات.

ثم إن الإنسان كثيراً ما يربط بين المصيبة وبين مكانها أو زمانها، وحتى لا تنسحب هذه العادة وتستمر بعد أن جاء الإسلام قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: ((أحد جبل يحبنا ونحبه)) فكان هذا القول الكريم بيناً للحق وابتعاداً عن الطيرة والتشاؤم.

العشرون: هذا الثبات العجيب من النبي – صلى الله عليه وسلم –، يقول لك: هكذا تكون القيادة الحقيقية. القائد يجب عليه أن يكون في مقدمة الصفوف مع جنده، وذلك من أعظم أسباب رفع المعنويات، ونحن نرى اليوم نماذج من القادة نسأل الله العفو والسلامة يُنشِبون الحروب ويوقعون شعوبهم في حروب عظيمة وهم إما في مخبأ تحت الأرض من الخرسانات المسلحة، أو على بعد آلاف الكيلومترات من أرض المعركة، فسبحان الله الفرق بين هذه القيادة النبوية وبين غيرها من القيادات الفاشلة.

ثم هذه الشجاعة الفائقة منه – صلى الله عليه وسلم –، جميع الأسلحة المستخدمة في ذلك العصر تفعل فعلها وتدور رحاها من حوله، الرماح والسيوف والسهام وهو ثابت لا يتزحزح – صلى الله عليه وسلم – فكانت هذه الشجاعة من أهم أسباب إنقاذ جيشه من الإبادة التامة والهزيمة الكاملة. فيا حسرتا على المسلمين في هذا العصر إنهم محرومون من القيادات الحقيقية. فإلى جانب ما ابتلي به المسلمون اليوم من القيادات الهزيلة فقد ابتلوا أيضاً بالقيادات العميلة، التي جرت على الأمة نكبات جسام وهزائم كبار، فحسبنا الله ونعم الوكيل.

المصادر والمراجع

- السيرة النبوية لابن هشام، المؤلف :عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: 213 هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، 1375هـ - 1955م.

- أسد الغابة في معرفة الصحابة، المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير) المتوفى: 630هـ)، المحقق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، سنة النشر: 1415هـ - 1994م.

- البداية والنهاية، المؤلف :أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774 هـ)، المحقق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى 1408هـ - 1988م.

- سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، سيرته وجهاده ومناقبه وأروع ما قيل عنه من قصائد الرثاء والمديح قديماً وحديثاً، المؤلف: د. ماجد إبراهيم العامري، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى 1421هـ – 2001م.

- سيرة ابن إسحاق) كتاب السير والمغازي)، المؤلف :محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (المتوفى: 151هـ)، تحقيق: سهيل زكار، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: الأولى 1398هـ – 1978م.

فهرس